القدس

التسمية والتاريخ والتراث

عبد الله سليم عمارة

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة ـ ميدان حليم خلف بنك فيصل ـ شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : القدس التسمية والتاريخ والتراث

المؤلف : عبد الله سليم عمارة

رقم الإيداع :

مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا .

الطبعة الأولى 2010


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى المقدسيين كل المقدسيين (مسيحيين ومسلمين) الذين يقفون وقفة عز وشموخ في مقاومة تهويد مدينتهم، متشبثين بأرضهم وديارهم ومقدساتهم وتاريخهم وتراثهم وهويتهم وانتمائهم.

إلى أولئك المرابطين في بيت المقدس وأكنافه دفاعاً عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وكل المقدسات الإسلامية والمسيحية، ودفاعاً عن أرض السلام في مدينة السلام، ليعم فيها السلام الذي لا يكون إلا بتطهيرها وكل فلسطين من الغزاة المحتلين،

إلى الذين قال عنهم الرسول ﷺ(1): « لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضيرهم من خالفهم، ولا ما أصابهم من لأْوَاء(2)،حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس ».

(1) رواه الإمام أحمد في المسند، الجزء الخامس، ص268.

(2) لأْوَاء: الشدة والمحنة.

المقدمة

تهفو نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لزيارة القدس، لِما لها من مكانة مقدسة في عقيدتهم، وكيف لا! وهي بقعة من بقع الجنة، وصُرّة الأرض، فقد روى ابن عباس أن الرسول ﷺ، قال[3]: « **من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى القدس** »، وكما روى الصحابي أنس بن مالك[4]: « **إن الجنة تحنُّ شوقاً إلى بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس، وهي صُرّة الأرض** »، فإذا كانت الجنة تحنُّ شوقاً إلى بيت المقدس، فكيف المسلم الذي يتوق شوقاً إليها؟.

هذه هي القدس، التي خصُها الله تعالى بالعديد من الأنبياء، حتى قيل أنه لم يبق فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي، كما خَصّها بالحرم القدسي الشريف (المسجد الأقصى- المبارك)، الذي هو ثاني المساجد في الإسلام، وثالث المساجد التي نالت شرف القداسة والفضل على سواها، والتي تشد الرحال إليها، فقد روى ابن شهاب الزهري عن النبي ﷺ، إذ قال: « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس** »، وأسبغ الله تعالى عليها فضله بأن جعل إسراء الرسول ﷺ إليها، ومنها كان معراجه إلى السماء، وفي أكنافها كان مولد يسوع المسيح عليه السلام، وفيها كان صلبه وقيامته، ومنها انتشر الدين المسيحي إلى العالم أجمع.

وبذلك، فإن الله تعالى ربط بيت المقدس بالكعبة المشرفة برباط إلهي مقدس، فما وصله الله تعالى لا يقوى الإنسان أن يقطعه مهما امتلك من جبروت السلطة والقوة، وإن تهيأ له ذلك، فإلى حين، ثم تستعيد القدس مكانتها، لأنها تفردت دون سواها من مدن العالم بظاهرة جعلتها أقوى من كل ما أحاق بها من دمار ونكبات وحروب، ففي خلال تاريخها الطويل كانت وما زالت مطمع الغزاة والمغامرين والمحتلين والطامعين، فهُدمت سبع عشرة مرة،

(3) شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: الطريق إلى القدس،المجمع الثقافي، أبو ظبي، 37.

(4) اسحق موسى الحسيني: مدينة القدس، دار القلم (دمش)، الدار الشامية (بيروت)، ط1، 1990، ص88.

وفي كل مرة تَنفض عنها كل ما ألمَّ بها من خراب وتدمير، وتستعيد هيبتها ومكانتها، وتخرج من محنتها مزهوة بصمودها وتضحياتها، ومعلنةً أن وفاءها لما خصّها الله تعالى من قدسية المكان وطهارته، أقوى من جبروت المحتل، وأقوى من أن تُمكن الغزاة من النيل من انتمائها العربي والإسلامي، هذا الانتماء المستمد من قدسية المكان وطهارته ورمزيته العربية والمسيحية والإسلامية والإنسانية.

وفي ضوء ما تقدم، رأى المؤلف أن يضع كتاباً موجزاً عن تاريخ القدس، مُدعمًا بالحقائق التاريخية التي كشفت عنها الوثائق المستقاة من نتائج الحفريات الأثرية التي جبّت كل ما ورد من أساطير خرافية توراتية، ومدعماً بكتابات المؤرخين الثقاة، وصوّغ كل ذلك بإسلوب يُمكن القارئ من التزوّد بتلك الحقائق التاريخية التي تجعله أكثر تعمقاً بتاريخ القدس، وأكثر إدراكاً لأهميتها، وأكثر إنتماءً لعروبتها ولما تختزنه من تراث حضاري إنساني، إسلامي ومسيحي، يحكي عن قدسية المكان وطهارته ورمزيته، كما يحكي عن هذا المكان (القدس) الذي منح أصحابه العرب ملكيته، فمنحوه هويتهم العربية الإسلامية، هذه الهوية التي حمت المكان في الماضي من كل الغزاة والمحتلين، والتي ستحميه من المحتل الصهيوني وترده على أعقابه خاسراً مهما طال الزمن.

فهذا الكتاب، جاء في خمسة فصول، يتناول الأول منه، القدس من حيث النشأة والتسمية والمعنى ومكانتها في العقيدة الإسلامية، ويُبيّن أن القدس عربية النشأة والتسمية والمعنى، وأن جميع المحاولات التي قام بها الغزاة لمحو تسميتها العربية الإسلامية باءت جميعها بالفشل، بفضل ما خصَّها الله تعالى من قدسية المكان وطهارته ورمزيته.

أما الفصل الثاني، فيأتي على الأحداث التاريخية التي شهدتها القدس في العصور القديمة والوسيطة والحديثة، فيجلو الحقيقة عن الأهداف التي تبنتها جماعة موسى بعد موته، وكيف أنهم تخلو عن شريعته، وتحولوا إلى عبادة الأوثان، وإلى غزاة، فحاولوا السيطرة على يبوس (القدس)، ولم ينجحوا إلا في عهدي الملكين داوود وسليمان، اللذين لم يفلحا في اقتلاع العرب أصحاب القدس وملاّكها، الذين مكثوا فيها منذ نشأتها حتى الآن. كما يدحض هذا الفصل ما أشاعه كاتبو التوراة من خرافات وأساطير عن مدى اتساع هاتين المملكتين، كما بَيّن أن مملكة سليمان انقسمت بعد موته إلى مملكتين صغيرتين متنافستين ومتحاربيتين، ومحصورة كل منهما في رقعة صغيرة، هما: مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهودا في الجنوب، فالأولى زالت من الوجود نهائياً على يد الآشوريين سنة721 ق.م، والثانية زالت نهائياً على يد الكلدانيين (البابليين) في سنة 586 ق.م، ويتابع هذا الفصل، استعراض الأحداث التي شهدتها القدس في زمن وقوعها تحت كل من الاحتلال: الفارسي واليوناني والروماني والبيزنطي، ثم يبيّن كيف أصبحت القدس مهداً للمسيحية، ومنها كان انتشارها.

بينما الفصل الثالث، يستعرض الأحداث التاريخية التي مرّت بها القدس في العصور الإسلامية، وبخاصة الأحوال التي واكبت تحرير العرب المسلمين للقدس من الاحتلال البيزنطي، ثم يُبيّن ما نالته القدس من رعاية واهتمام من: الأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين، فكل منهم راح يتسابق في منح القدس التقدير الذي تستحقه، فحفلت القدس في عصرها العربي الإسلامي بكثير من الإنجازات التراثية الحضارية، ومن أبرزها وأعظمها شأناً، مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المسقوف ، كما يستعرض هذا الفصل دور صلاح الدين الأيوبي في تحرير القدس من الإحتلال الفرنجي، والقضاء على المملكة اللاتينية المصطنعة في بيت المقدس.

أما الفصل الرابع، فيتناول أوضاع القدس تحت الإحتلالين البريطاني والإسرائيلي، فيستعرض الخطوات الاستعمارية التي قامت بها بريطانيا لتمكين الحركة الصهيونية من إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، وكان لها ذلك في عام 1948 م، ويكشف هذا الفصل عن الإجراءات التي قامت بها « إسرائيل » لتهويد القدس، كما يُبيّن موقف الأمم المتحد الرافض لهذه الإجراءات مع تسليط الضوء على أبرز القرارت التي اتخذتها الأمم المتحدة بهذا الشأن وموقف «إسرائيل» الرافض لها.

ويُختتم الكتاب بتسليط الضوء على أهم المباني التراثية الإسلامية والمسيحية في القدس، وسعي « إسرائيل » الممنهج لنزع الصفة الإسلامية والمسيحية عن القدس، بهدف محو هويتها العربية الإسلامية، هذه الهوية التي شكلت في الماضي، وتشكل في الحاضر ممانعة قوية تحول دون تحقيق أهداف الغزاة والمحتلين.

المؤلف

تموز/ يوليو/ 2009 م

دمشق

الفصل الأول
القدس عربية النشأة والتسمية

تمهيد

ما من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية مستدامة منذ تأسيسها قبل زهاء خمسة آلاف عـام(□) حتى يومنا هذا، مثل مدينة القدس، فقد تفردت هذه المدينة دون سواها من مدن العالم بظاهرة، جعلتها أقوى من كل النكبات والحروب التي أدت إلى هدمها وإعادة إعمارها سبع عشرة مرة (□) خلال تاريخها الطويل، فقد كانت تخرج من كل محنة مزهوة بصمودها وبتضحياتها، ومزهوة بقدرتها على إعادة إعمارها لتظل وفيّة لما خصّها الله من قدسية المكان وطهارته.

فالقدس كانت وستبقى شامخة، فكما أخفق الغزاة في الماضي في محو هويتها العربية الإسلامية، فإن الغزاة الجدد في الحاضر والمستقبل سيخفقون أيضاً، لأن الله قد خصّها بالعديد من الأنبياء، حتى قيل أنه لم يبق فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي(□)، كما خصّها الله تعالى بإسراء رسوله ﷺ، فقال في كتابه العزيز : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1] وبذلك، فإن الله تعالى حصّن القدس منذ نشأتها برباط مقدس بينها وبين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبين الأقصى والكعبة المشرفة، إنه الرباط الإلهي، فما وصله الله تعالى لا يقوى الإنسان أن يقطعه(□).

*** فمن أنشأها؟ وما التسميات التي عُرفت بها عبر تاريخها؟ وما الأحداث التاريخية التي شهدتها ؟ وما أبرز ما خلدته من تراث إنساني؟**

إن الإجابة عن هذه الأسئلة، تمثل مطلباً ملحاً في هذه الآونة بالذات، لتمكين القارئ من التعرف إلى الحقائق التاريخية بشأن نشأة القدس وتسميتها العربية التي لازمتها عبر تاريخها دون أن يتمكن الغزاة الذين تعاقبوا على احتلال فلسطين من محو هذه التسمية، وإن تمكنوا فلم يدم ذلك أكثر من فترة زمنية محدودة، ثم تستعيد القدس تسميتها العربية تجذيراً لإنتمائها العربي المغرق في القدم، فعروبة القدس كانت أقوى من كل محاولات الغزاة المحتلين لطمسها، ولن تكون محاولات الكيان الصهيوني لتهويد القدس إلا تكراراً للفشل الذي مُني به الغزاة في الماضي.



(5) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981، ط5، ص715.

(6) رائف يوسف نجم وآخرون: مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية،ط1، 1983، ص29.

(7) أحمد سوسة: العرب واليهود،مرجع سابق، ص715.

(8) مجلة شؤون عربية: القدس، العدد (40)، 1984، ص26.

القدس عربية النشأة

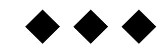
إن سكان بلاد الشام (سورية وفلسطين والأردن ولبنان)، هم شعب عربي واحد كان موجوداً في هذه البلاد منذ عشرات الآلاف من السنين قبل الميلاد، وهذا لا يمنع من مجئ هجرات عربية أخرى من جزيرة العرب أو من العراق التي هي جزء من جزيرة العرب، ولكن هذه الهجرات انصهرت وذابت في السكان الأصليين العرب: الكنعانيين أو الفلسطينيين أو السوريين أو الفينيقيين[9]، ومثل هذه الحقيقة التاريخية، تُبطل الادعاءات المغرضة التي روّجت إلى أن المنطقة كانت خالية من السكان قبل مجيء تلك الهجرات، وذلك لأن العراق وبلاد الشام ومصر ـ أو معظمها ليست منسلخة عن مناطق جزيرة العرب، بل هي مكوّن من مكوّناتها السكانية والثقافية والجغرافية والتاريخية.

وبذلك، فإن « هذه البلاد – بلاد الشام والعراق ومصر – لم تتعرب بسبب الهجرات من جنوب الجزيرة العربية، أو من وسطها، ولكنها عربية منذ الأزل، لأنها لم تعرف إلا الجنس العربي، وأن العرب يعمرون هذه الأرض، منذ جعل الله الخلق شعوباً وقبائل متمايزة، ولذلك، فإن أكثر النظريات قُرْباً من المنطق السليم، هي التي تجعل الكنعانيين أصليين في أرضهم، ذلك أن كثيراً من مقارْ الكنعانيين التاريخية كانت مستوطنات مزدهرة في عصور ما قبل التاريخ، والأرض التي كان يُطلق عليها (أرض كنعان) هي المناطق السورية الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات، ومنها فلسطين، بل يمكن القول: أن الأرض الواقعة بين الفرات والنيل، أرض عربية، وسكانها من العرب أزلياً مع أخذهم مسميات مختلفة، كما تختلف أسماء كل القبائل في الأمة الواحدة »[10].

(9) جميل خرطبيل: فلسطين والمؤرخون العرب القدماء، دار الرواد(بيروت)، دار النمير(دمشق)، ص64.

(10) محمد محمد حسن شراب: القول المبين في تأريخ القدس وفلسطين، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، ط!، دمشق، 2006، ص37.

فهؤلاء العرب الذين وجدوا في فلسطين منذ عشرات الآلاف من السنين قبل الميلاد، والـذين احتضنوا أبناء جنسهم من العرب الذين وفدوا إلـيهم مـن الجزيـرة العربيـة في الألـف الرابعـة قبـل الميلاد، ظلوا ثابتين فيها منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر، دون أن تتمكن الغزوات الخارجية من اقتلاعهم من أرضهم التي منحتهم ملكيتها المكانية والتاريخية، فمنحوها إنتماءهم وهويتهم الحضارية العربية، التي تجلّت في المجالات كافة، وبخاصة في الزراعة والصناعة والتجارة والفن وابتكار الكتابة بالحروف العربية الأبجدية التي أفادت منها البشرية جمعاء، وفي بناء القرى والمدن، ومن أبرزها وأكثرها قدسية وطهارة: مدينة القدس.



تسمية القدس عبر العصور

*** حملت القدس عبر تطورها التاريخي عدة أسماء، منها:**

يبوس:

تنسب هذه التسمية إلى قبيلة يبوس العربية، وهي بطن من بطون العرب الأوائل ، نشأوا في صميم شبه الجزيرة العربية وترعرعوا في فيافيها، ثم هاجروا إلى فلسطين مع من هاجر من القبائل العربية التي انصهرت بسكان فلسطين العرب الكنعانيين، ويعود الفضل إليهم في اختيار موقع القدس الحالي في الألف الثالثة قبل الميلاد، وأنشأوا عليه مدينة (يبوس) القدس الحالية، وبذلك يُعد اليبوسيون بناة القدس الأولون.

وقد اختار اليبوسيون الرابية الجنوبية الشرقية من يبوس، وبنوا عليها قلعة حصينة، سُميت حصن يبوس، كما سموها قلعة صهيون، وصهيون كلمة كنعانية تعني مرتفعاً، « وربما كان هذا الاسم مشتقاً من العربية صهوة بمعنى أعلى الجبل »(□□)، ولذلك نجد الاسم يطلق على أكثر من مرتفع في سورية القديمة(□□). ويُعد « الحصن أقدم بناء في مدينة يبوس...ويُعرف الجبل الذي أُقيم عليه الحصن بالأكمة، أو هضبة أُفل »(□□) ، فقد كان حصن يبوس يتمتع بمميزات استراتيجية طبيعية، ففي جوار الحصن شرقاً نبع غزير في وادي قدرون، عُرف باسم جيحون (نبع العذراء)، الذي كان مصدر حياة المدينة عبر عصورها، وقد حفر اليبوسيون نفقاً تحت الجبل لنقل مياه النبع إلى داخل الحصن (□□).

(11) شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: الطريق إلى القدس، المجمع الثقافين أبو ظبي، ص80.

(12) خيرية قاسمية: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، مجلة الحياة الفكرية ، العدد (19)، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ج.عزس، ص13.

(13) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث (ص- ك)، ط1، دمشق، 1984، ص510.

(14) الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص510.

أورو سالم :

وقد نسبت المدينة قديماً إلى الملك العربي الكنعاني ملكي صادق الذي يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وقد عُرف بالتقوى وحب الخير،حتى قيل عنه: أنه ما أراق دماً، وما أكل سوى الخبز، وما غشى امرأة(□□)، وكان محباً للسلام، حتى أُطلق عليه ملك السلام ، كما عُرفت مدينة **يبوس**، باسم سالم و شالم ، كما وردت باسم « أوروسالم أو يروشالم أو يرو- شلم أو أورو » وأرجح الآراء من الناحية العلمية أنها مركبة من (**أور**) بمعنى موضع أو مدينة و (شالم) وهو اسم إله وثني لسكان فلسطين الأصليين هو (إله السلامة) أو (إله السلام) (□□) ، أو نسبة إلى ملك السلام العربي الكنعاني ملكي صادق ، ولذلك، فإن التسمية تصبح معناها **مدينة السلام** .

يابيثي أو أوشاميم :

سماها الفراعنة في نقوشهم القديمة «كتاباتهم الهيروغليفية » في حوالي الألف الثانية قبل الميلاد باسم «أوشاميم» أو «روشاليموم»(□□)، كما سموها الفراعنة «يابيثي أو يابتي»، وهو تحريف لإسم يبوس الكنعانية(□□)، «كما ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عش قبل الميلاد باسم يوروسالم **Urusalim** ثم بعد ذلك في النقوش الآشورية أوروسليمو » **Urusilimu** (□□).

كما ورد ذكرها في النقوش اليونانية باسم هيروسوليما أو سوليما، أما المؤرخ اليوناني **هيرودوت** (484-425 ق.م) سمَاها (قديتس)، ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي سالومو مونك في كتابه (فلسطين): إن هذا الإسم على الأرجح هو **القدس** مُحَرَّفاً في اليونانية عن النطق الآرامي قديشتا (□□).

---

(15) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، ط3، ص49.

(16) حسن ظاظا: القدس (مدينة الله..أم مدينة داوود)، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)، ط1، 1998، ص46.

(17) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، اصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2001، 12.

(18) أحمد سوسة: تاريخ العرب واليهود، مرجع سابق، ص719.

(19) اسحق موسى الحسيني: مدينة القدس، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)،1990، ط1، ص42.

(20) حسن ظاظا: القدس (مدينة الله..أم مدينة داوود)، مرجع سابق،ص44- 45.

مدينة داود (تسمية عابرة) :

وكان داود قد فرض نفوذه على مدينة يبوس« القدس» (نحو 997 أو 1000 ق . م)، لفترة مؤقتة دون أن يتمكن من طرد أصحابها العرب الشرعيين من أرضهم، فظلوا محتفظين بحقوقهم الشرعية وملكيتهم المكانية والتاريخية، وعاش اليهود أقلية بينهم، وحاول **داود** تسمية **القدس** بغير التسمية التي عُرفت بها، فلم يستطع إعطاءها تسمية جديدة، لأن اللغة في عصره كانت اللغة العربية الكنعانية نفسها، فاضطر أن يسميها مدينة **داود** ، واستمرت هذه التسمية متداولة مدة (73) سنة، وهي المدة التي استمر فيها نفوذه السياسي المنقوص على القدس، وبإنتهاء نفوذ اليهود لم تستطع هذه التسمية الاستمرار، فانتهى اسم «مدينة داود» ليعود إليها اسمها الكنعاني العربي «أورشليم» .

كما أن الذين كتبوا التوراة، وحَرّفوها بما يخدم مصالحهم، لم يتمكنوا أن يجدوا بديلاً عن التسمية العربية الكنعانية (يبوس) ، وفي هذا السياق أوردت التوراة ما نصه: **(فيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً، قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة ...)**[21].

وأوردت التوراة اسم أورشليم التي تلفظ بالعبرية يروشالايم أكثر من (680) مرة[22]، وهذه الكلمة مشتقة من الاسم الكنعاني العربي الأصلي، « والظاهر أن اليهود حرّفوا الاسم أو عَبرنوه حتى يتوهم الناس أن المدينة عبرانية الأصل »[23]، وتطلق التوراة كذلك على المدينة أسماء أخرى كثيرة هي : (شاليم) و (مدينة الله) و(مدينة القدس)

(21) التوراة: قضاة، 19.

(22) الموسوعة الفلسطينية: مرجع سابق، ص510.

(23) اسحق موسى الحسيني: مدينة القدس، مرجع سابق، ص45.

و (مدينة العدل) و(مدينة السلام)، يلاحظ أن جميع التسميات التي أوردتها التوراة هي تكريس للتسمية العربية الكنعانية الأصلية، ويثبت هذا أن كَتَبَةَ التوراة عجزوا تماماً عن ايجاد تسمية غير عربية كنعانية لها، فاكتفوا بتحريف اسم القدس العربي الكنعاني (اوروسالم) أو (ياروشالم) إلى (أورشليم)، ومن (ياروشالم)، جاء الإسم الذي تداولته أوروبا (جيروزاليم) Jerusalem ، وبالتالي فإن مايزعمه الكُتّاب اليهود بأن تسمية (أورشليم) هي عبرانية في أصولها، هو زعم باطل، وافتراء على التاريخ وتزوير له .

لذلك، فدعوى « أن اسم أورشليم عبري الأصل (بمعنى يهودي)، دعوى باطلة لا تستند إلى مصدر تاريخي بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية قبل أن تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبرية بنحو ثمانيمائة عام، وتعترف التوراة اعترافاً صريحاً بأن ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديم لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية، فلما خاطب حزقيال أورشليم، قال: «أبوك أموري وأمك حثية»، وذلك على اعتبار أن ملوك أورشليم كانوا من العموريين[24]، والعموريون هم العرب القدماء الذين أشادوا حضارة في بلاد الشام ومنها فلسطين، ويذهب بعض المؤرخين إلى القول، أن الكنعانيين انبثقوا من العموريين ».

ايليا كابتولينا (تسمية رومانية عابرة) :

وفي سنة 63 ق.م احتل القائد الروماني (بومبي) فلسطين، ودخل القدس، وبذلك أصبحت فلسطين تحت الحكم الروماني، وفي سنة 135 ق.م بدّل الإمبراطور الروماني هادريان[25] Aelius Hadrianus اسم (أورشليم) إلى (ايليا كابتولينا) Aelia Capitolina ، «فالمقطع الأول من هذا الإسم مشتق من الإسم الأول لهادريان وهو إيليوس ،

(24) أحمد سوسة: تاريخ العرب واليهود، مرجع سابق، ص721.

(25) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2001، ص34.

أما المقطع الثاني فمن اسم معبد جوبيتير كابيتولينوس»[26] . وقد حَرّم هادريان على اليهود دخول القدس لتنقطع صلة اليهود بالقدس وفلسطين مدة ثمانية عشر قرنا متواصلة، إلا أن الإمبراطور الروماني قسطنطين أعاد لها اسمها الكنعاني القديم (أورشليم) ، وذلك بعد اعتناقه المسيحية سنة 312م، وقامت (هيلانة) والدة قسطنطين ببناء الكنائس في القدس ومن أبرزها كنيسة القيامة.

وتجدر الإشارة إلى أن اسم (ايلياء أو ايليا أو اليا) [27] لم يدم أكثر من 89 سنة (أي من 135م – 224م) فقط، ومع ذلك ظل اسم «ايلياء» متداولاً بين الناس جنباً إلى جنب مع تسميتها العربية الكنعانية بدليل ورود هذه التسمية في نص عهد الأمان (العهدة العمرية) الذي أعطاه الخليفة الراشدي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لأهل ايلياء (سكان القدس) في السنة الخامسة عشرة للهجرة، ونص عهد الأمان صراحة ألا يسكن اليهود في القدس، وكان ذلك بناء على طلب بطريرك القدس (صفرنيوس) الذي منعهم من السكنى في المدينة المقدسة[28].

إن تسمية «ايلياء» كانت تسمية عابرة، لأنها تسمية غريبة لا تعبر عن قدسية المكان وطهارته، ولا تمت بصلة الى تاريخ المدينة وعمقها العربي على مر العصور، وقد تلاشت تسمية (ايلياء) نهائياً منذ الفتح العربي الإسلامي لفلسطين سنة 15 للهجرة/ 636م [29]. ومنذ ذلك التاريخ ترسخت تسمية القدس أو بيت المَقْدس، أو القدس الشريف، ويقال أن أقدم من وصفها بالقدس الشريف – وهي التسمية الشائعة في العالم الإسلامي – هو يحيى بن سعيد الأنطاكي في كتابه « تاريخ الذيل » الذي ألفه في سنة 458 للهجرة، ثم ثَبّت هذه التسمية العثمانيون[30].

(26) فراس السوّاح: تاريخ اورشليم، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط1، ص282.

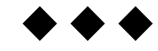
(27) عارف الباشا العارف: تاريخ القدس، مرجع سابق، ص168.

(28) شؤون عربية، كانون الأول، ديسمبر، 1984، ص73.

(29) بعض الروايات التاريخية تشير إلى أن فتح القدس تمّ في سنة 17 للهجرة/ 638 م، انظر الموسوعة الفلسطينية، المجلد السادس، دراسات القضية الفلسطينية، ط1، بيروت، 1990، ص809.

(30) شمس الدين محمد الكيلاني، محمد جمال باروت: الطريق إلى القدس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ص82.

ومن أسمائها أيضاً: المسجد الأقصى، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:1] ، ومنها: الزيتون، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:1-3]، حيث قال ابن عساكر (1105- 1176) نقلاً عن ابن عباس : (أن التين بلاد الشام، والزيتون بلاد القدس، وطور سينين الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام، وهذا البلد الأمين مكة)[31].



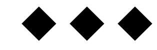
(31) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مرجع سابق، ص169.

القدس أو بيت المَقْدس
جزء من العقيدة الإسلامية

تهفـو نفـوس المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربهـا لزيـارة القـدس لمـا لهـا مـن مكانة مقدسة في عقيدتهم، وكيف لا، وهي بقعة من بقع الجنة، فقد روى ابن عباس أن الرسول ﷺ، قال: « **من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس** »[32].

كما أن كل مسلم يحن شوقاً إلى بيت المقدس والإقامة فيه، فقد روى الصحابي أنس بن مالك: « **إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جنة الفردوس** »[33]، وفي حديث مسند إلى علي بن أبي طالب « **قال لصعصعة نِعْمَ المسكن بيت المقدس، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله، وليأتين على الناس زمن يقول أحدهم ليتني تبنة في لبنة من لبنات بيت المقدس** »[34].

وفي هذا السياق، فعن أبي هريرة أنه قال [35]: « **من مات في بيت المقدس، فكأنما مات في السماء** » ، وعنه أيضاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « **أربع مدائن من الجنة : مكة ، والمدينة، ودمشق، وبيت المقدس** ».



(32) شمس الدين الكيلانين محمد جمال باروت: مرجع سابق،ص37.

(33) شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: مرجع سابق، ص38.

(34) شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: مرجع سابق، ص49.

(35) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مرجع سابق، ص43.

معنى تسمية القدس

إن تعدد تسميات القدس، تدفعنا إلى الإجابة عن السؤالين التاليين: من أين جاءت تسمية القدس ؟ وما معناها ؟

لم يكن اسم مدينة القدس قد جاء بمحض اختيار، ولا بطريق الصدفة، وإنما أُشتق من لفظ (قدس) وتعني البركة والطهارة، وإذا ما تتبعنا الأسماء التي أطلقت على القدس نجدها تعني الطهر والطهارة، لأنه مكان مقدس تطهر فيه الذنوب(□□).

و(بيت المَقْدس) يعني المكان المُطَهر المُنَزّه عن العيوب والنقائص، ذلك لأن اشتقاق اسم مدينة القدس كما جاء في لسان العرب في مادة (قدس): القدس تنزيه الله تعالى، وهو المتقدس، القدوس، المقدس).

ومن المؤرخين من ذكرها باسم (البيت المقدس) ويعني التطهر والتطهير، وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة:30] ، وبذلك يكون البيت المقدس هو البيت المطهر من الذنوب .

أما ياقوت الحموي (1178- 1228)، « فقد لخص المفهوم المتداول لغوياً عن القدس، فقال: القدس في اللغة المتنزه .

وقال الزجّاج : معنى نقدس لك، أي نطهر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك ونقدسه، أي نطهره ، ومن هذا قيل للسطل: القدس لأنه يُقدس منه، أي يتطهر، قال: ومن هذا بيت المقدس، أي المطهر الذي يتطهر به من الذنوب »(□□)، وفي هذا السياق، قال: « ابن منظور في اللسان: القدس السطل بلغة أهل الحجاز، لأنه يتطهر فيه »(□□).

ويروي شهاب الدين أحمد النويري (1280- ؟) في مؤلفه: (**نهاية الأرب في فنون الأدب**) : أن المدينة سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين.

(36) اسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس، م.ت.ف، مركز الأبحاث، دراسات فلسطينية61، بيروت، 1969، ص40- 41.

(37) شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: الطريق إلى القدس، مرجع سابق، ص83.

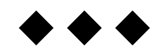
(38) اسحق موسى الحسينس: عروبة بيت المقدس، مرجع سابق، ص41 ،42.

وفي عصر القلقشندي (1353-1418) أُطلق على المدينة اسم (**القدس**)، وهو لا يختلف في معناها عن معاني الأسماء الأخرى، وظلت المدينة المقدسة تسمى بهذا الاسم حتى أصبح اسماً شائعاً ومعروفاً لدى الجميع، وهو الاسم المتداول في وقتنا الحاضر، وسيظل هذا الاسم قائماً، ومباركاً ومقدساً، لأنه جزء من العقيدة الإسلامية.

كما وردت لبيت المَقْدس صور مختلفة، منها البيت المقدّس، وبيت القُدْس (بإسكان الدال)، وبيت القُدُس (بضم الدال)، والقدس، والقدس الشريف، والمدينة المقدَّسة، على أن الاسم الأشيع بيت المَقْدس، ويبدو أن اسم القدس استعمله أهل الشام وأطرافها كما ذكر ناصر خسرو[39].

ورغم تعاقب الغزاة على **القدس**، ومحاولتهم المستميتة تغيير اسمها وهويتها، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، وطوال الحقبة التاريخية لمدينة **القدس** والتي تزيد عن خمسة آلاف سنة، لم يغير اسم المدينة إلا فترة لا تزيد عن 162 سنة، تمثل فترة سيطرة اليهود والرومان المؤقتة على **القدس**، بينما ظلت المدينة المقدسة تحتفظ باسمها العربي وهويتها العربية والإسلامية عبر عصورها .

وما تتعرض إليه القدس في هذه الآونة من تهويد، ما هو إلا امتحان للأمة العربية والإسلامية، ليهبوا جنباً إلى جنب إخوانهم الفلسطينيين المرابطين في بيت المقدس وأكنافه دفاعاً عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، عن أرض السلام، في مدينة السلام، ليعم فيها السلام، وذلك اتساقاً مع قول الرسول ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ، قيل أين هم يا رسول الله، قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس** » [40].



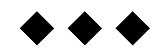
(39) اسحق موسى الحسيني: مدينة القدس (عروبتها- مكانتها في الإسلام)، مرجع سابق، ص61.

(40) محمود إبراهيم: فضائل بيت المقدس (في مخطوطات عربية قديمة)، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط1، 1985، ص324.

الفصل الثاني
القدس في العصور التاريخية القديمة

تمهيد

تعاقب على القدس عبر تاريخها الطويل غزاة كثر، وجميعهم أدركوا أن من يمسك بالقدس، يمسك بمقادير العالم القديم، كما أدركوا أن احتفاظ القدس بهويتها العربية، يُفشل مخططاتهم، وجميعهم حاولوا محو هويتها العربية، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، فبعضهم عاد من حيث أتى، وبعضهم آثر الاستقرار في القدس، متشرباً لغتها، ومنصهراً بثقافتها وحضارتها العربية الأصيلة.



جماعة موسى
يحاولون السيطرة على القدس

أسبغ كاتبو التوراة على الأحداث المتخيلة المصاحبة لقصة خروج موسى وجماعته من مصر، وكذلك على مملكتي داوود وسليمان المزعومتين الكثير من التحريف والتزييف والتخيلات والأساطير والخوارق التي يمجها التفكير الناقد السليم، بل إن علم الآثار غير المنحاز، وفي ضوء نتائج التنقيبات الأثرية، شكك في تاريخية تلك القصص التوراتية المزعومة، بل ذهب إلى نفي الكثير منها، كما عدَّ كثير من المؤرخين وعلماء الآثار أن ما ورد في التوراة هو من قبيل المبالغات النصية والتخيلات الأدبية.

وفي هذا السياق، فإن المؤرخ والباحث التوراتي اليهودي الأمريكي سارنا Sarna، يقول في دراسة جديدة له حاول من خلالها جاداً تقصي تاريخية أحداث الخروج، ما يلي: « إن خلاصة البحث الأكاديمي حول مسألة تاريخية الخروج تشير إلى أن الرواية التوراتية تقف وحيدة دون سند من جهة، وهي مليئة بالتعقيدات من جهة أخرى، وهذا كله لا يساعدنا على وضع أحداث الخروج ضمن إطار تاريخي، إضافة إلى ذلك، فإن النص التوراتي يحتوي على محددات داخلية ذاتية ناشئة عن مقاصد وأهداف المؤلفين التوراتيين، فهؤلاء المؤلفون لم يكونوا يكتبون تاريخاً، وإنما يعملون على إيراد تفسيرات لاهوتية لحوادث تاريخية منتقاة، وقد تمت صياغة الروايات التوراتية بشكل يتلاءم مع هذه المقاصد والأهداف »(41).

(41) فراس السوّاح: آرام دمشق وإسرائيل، دار علاء الدين، ط5، 2002، ص78.

لم يكتف كاتبو التوراة باختلاق الكثير من الروايات التي تفتقر إلى أي سند تاريخي يؤيدها، بل راحوا يحطون من شأن الشخصيات التوراتية التي يعتبرونها مقدسة، فهذا سفر (تكوين12:18-19) يقول، إن ابراهيم ينكر بعولته لزوجته ساراي، فيدعي أنها أخته، فيأخذها فرعون مصر ويضمها إلى حريمه، فيؤنبه فرعون على إخفاء الحقيقة: « .. فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني أنها إمرأتك. لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي..».

أما موسى، فيصفه (سفر التثنية32: 50- 52) بأنه خائن فيحكم عليه الرب بالموت: «... مت في الجبل كما مات هرون أخوك في جبل هور.. لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل..إذ لم تقدساني..» .

ويصور سفر (صموئيل2:11- 17) داود بأنه زانٍ وقاتل، فقد زنى بإمرأة أوريا الحثي وأمر بقتله: « وكان في وقت المساء أن داود..تمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح إمرأة جميلة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر. إمرأة أوريا الحثي.. وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها.. وكتب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديد وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ».

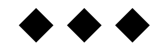
أما سليمان، فكاتبو التوراة وصفوه بأنه: قاتل أخيه أدونيا (الملوك الأول2:25)، وزير نساء« وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري» (الملوك الأول11:3-4)، وعابد للآلهة الوثنية، وكان « في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب... فذهب سليمان وراء عشتروت إلهه الصيدويين..» (الملوك الأول11:5-6).

وهكذا، فقد حاك كاتبو التوراة حول الأنبياء والشخصيات التي يعتبرونها مقدسة، ما شاء لهم الهوى من القصص والأساطير المشوهة، كما نسبوا إليهم النقائص المشينة، وسجلوا عليهم الإثم والعدوان، أما القرآن الكريم، فإنه رفض رفضاً قاطعاً ما أُلصق بالأنبياء عليهم السلام (إبراهيم وموسى وداوود وسليمان وغيرهم) من نقائص مشينة، فهم منزّهون من كل عيب ونقيصة، وهم مبرأون من أي انحراف خلقي، ومن الأحداث العدوانية المصاحبة لسيرتهم الشخصية الواردة في التوراة.

وانطلاقاً مما ورد سابقاً، يتم عرض بعض ما جاء في السردية التوراتية حول قصة الخروج ومملكتي داوود وسليمان المزعومتين، مع الإشارة إلى آراء بعض علماء الآثار والمؤرخين المتخصصين في هذا المجال حول مدى صدقية وتاريخية السردية التوراتية، دون الإغراق في تفاصيل الرواية التوراتية الدينية، والاكتفاء بما يتقاطع مع البحث التاريخي الذي ينشد الحقيقة كما كانت، لا كما يريدها محررو التوراة، وأن هذا العرض يتناول الشخصيات التوراتية، وذلك كما يلي:

في حوالي منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، تسللت إلى فلسطين جماعة غريبة، عُرفت بجماعة موسى، وبموت موسى انحرفت جماعته عن شريعته، فاعتنقت فيما بعد شريعة مغايرة تماماً لشريعة موسى، وعُرف هؤلاء فيما بعد باسم «اليهود» – وقد ظهرت هذه التسمية بعد السبي البابلي، أي في القرن السادس قبل الميلاد – والقرآن الكريم أشار إلى أن اليهود حرّفوا شريعة موسى، فقد ورد في سورة البقرة، الآية (79) : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد شلبي: « إن اليهود بعد أن انحرفت معتقداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية، لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومعتقدات»[42].

(42) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981، ط5، ص551.

إن هـذه الجماعة(الموسـويين) التـي تسـللت إلى فلسـطين، كانـت جماعـة بدائيـة تفتقـر إلى أدنـى المقومات الحضارية، لذلك، أخذت بلغة كنعان وحضارتهم وديانتهم الوثنية، والشـاهد عـلى ذلـك الرواية التوراتية المزعومة، إذ يخاطب إلـه اليهـود موسـى قـائلاً: «إني سأسـوقك إلى مـدن عظيمـة لم تبنها، وبيوت مملـوءة كـل خـير لم تملأهـا، وآبـار محفـورة لم تحفرهـا، وكـروم وزيتـون لم تغرسـه...»
.

ظلت هذه الجماعة زهاء ثلاثة قرون تحاول السيطرة على يبـوس (القـدس)، ولكـنهم لم يتمكنـوا منها إلا في عهد داوود، أي في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد.

◆◆◆

(43) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1990، ص111.

القدس في عهد داوود

جاء في التوراة أن هذه الجماعة (الموسويين) طلبوا من صموئيل، وهو من آخر كبار القضاة أن يُعين لهم ملكاً أسوة بالممالك الكنعانية (الفلسطينية)- حيث كان لكل مدينة، أو حتى قرية أحياناً، رئيس لها أو عمدة، كانوا يدعونه ملكاً - تم تعيين شاؤول ملكاً عليهم ، وبعد خمس عشرة سنة من حكمه (1025- 1010 ق.م) [□□]، لم يقف الفلسطينيون مكتوفي الأيدي أمام شاؤول، ويؤكد العهد القديم ذلك بإشارته إلى أن شاؤول انشغل «طيلة مدة حكمه في حرب ضروس مع الفلسطينيين»[□□]، فقد تمكن الفلسطينيون من هزيمته في جبل جلبوع، وسقط شاؤول قتيلاً، كما سقط في المعركة أيضاً أولاده الثلاثة ومعظم عساكره[□□].

تقلد داوود الحكم خلفاً لشاؤول، فاتخذ من القدس مقراً لحكمه الذي استمر زهاء الأربعين سنة في الفترة من (1009إلى 969 ق.م) [□□]، لم يتمكن خلالها من اقتلاع العرب ،سكان القدس وأصحابها الشرعيين الذين لم تنقطع صلتهم بمدينتهم عبر تاريخها الطويل، كما أنه لم يستطع أن يمد نفوذه خارج القدس.

إلا أن كتبة التوراة لجأوا إلى المبالغة في وصف حدود مملكة داوود، وأسبغوا عليها قصص البطولة المختلقة، فقد ادعوا، إنها امتدت من الفرات إلى البحر المتوسط، عبر مناطق وسط وجنوب سورية، علماً أن علم الآثار نفى تماماً مثل هذا الادعاء، « الذي ليس في حقيقة الأمر إلا شبحاً تاريخياً لم يعد يؤرق إلا الحلقات الأكاديمية المحافظة التي ما زالت تبحث وتأمل في الحصول على وثيقة واحدة تأييداً للرواية التوراتية»[□□].

(44) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق، ص90.

(45) سامي سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، سلسلة دراسات فلسطينية15، ص180.

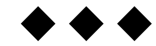
(46) فراس السوّاح: آرام دمشق وإسرائيل، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط5، 2002، ص114- 115.

(47) اسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس، م.ت.ف، مركز الأبحاث، بيروت، 1969، ص12.

(48) فراس السوّاح: آرام دمشق وإسرائيل، مرجع سابقن ص133.

وفي هذا السياق، فإن عالمة الآثار كاثلين كينون، وفي ضوء نتائج التنقيبات التي قامت بها، دحضت الروايات التوراتية، وذلك بقولها: « إن داوود وبعد أن بسط نفوذه على مدينة القدس، فإنه لم يتمكن من توسيع نفوذه خارج هذه المدينة، بل إنه لم يقم بتوسيع المدينة نفسها، فقد كانت يبوس عبارة عن قرية مسّورة لا تزيد مساحتها عن (4.5) هكتاراً، وهذا يتناقض مع وضعها عاصمة لإمبراطورية ضخمة »(□□).

ورغم أن داوود بسط نفوذه المنقوص على القدس (يبوس)، إلا أنه لم يتمكن من اقتلاع «سكانها وأصحابها الشرعين، حيث كان أكثر سكان المدينة في عهده من اليبوسيين والكنعانيين والعموريين والفلسطيين»(□□)، وجميعهم من بطون العرب القدماء الذين وفدوا من صميم شبه الجزيرة العربية، حتى إنه عجز عن بسط نفوذه على القبائل التي ينتمي إليها، فقد انشغل في مواجهة النزعات الانفصالية بينهم، بل إنه فشل فشلاً ذريعاً في القضاء على تلك النزعات التي طالت حتى أبناءه، فتمرد عليه ابنه أبشالوم الذي قُتل نتيجة هذا التمرد، ثم ما لبث أن نشب صراع مرير بين ابنيه (سليمان وأدونيا)، وقد انتهى هذا الصراع بتولي سليمان الحكم .



(49) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2001، ص55.

(50) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث (ص-ك)، مرجع سابق، ص511.

القدس في عهد سليمان

وما أن استتب الأمر لسليمان الملك، الذي دام حكمه حوالي 38 سنة (969- 931 ق.م)، فإن الرواية التوراتية، زعمت أنه قام بقتل أخيه وأنصاره المقربين ليضمن له الملك والاستقرار[□□].

اعتاد الباحثون اليهود على المبالغة في وصف مجد سليمان وأبهته وفخامته، والحقيقة أن ما يُدعى مملكة سليمان التي يتبجح اليهود بعظمتها كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر- قائمة على حراب أسيادها الفراعنة[□□].

ويعلق المؤرخ **ويلز** على ما سردته التوراة من مبالغة في وصف مملكة سليمان، فيقول[□□]: « **من الخير ألا يغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور، فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم(القدس)، ونهب ما فيها من كنوز**».

*** وفي هذا السياق، يقول المؤرخ جفريز**[□□]:

« **عن الدولة اليهودية، قد قامت وتألقت وطنطنت بمقدار عمر برغشة ثم تلاشت**».

كما أن عالم الآثار **فنلكشاين** من الجامعة العبرية، صرّح قائلاً[□□]: « **إنه لا يرى في مملكة سليمان أكثر من مشيخة صغيرة**».

كما أورد بيللوك في كتابه (**ميدان المعركة**) عن مساحة رقعة مملكة اليهود التافهة: إن أحسن طريقة يمكن للإنسان أن يدرك بها إلى أي مدى كانت صغيرة هي على هذا النحو:

---

(51) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، مرجع سابق، ص59.

(52) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق، ص571.

(53) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق، ص572.

(54) ج.م.ن.جفريز، ترجمة أحمد خليل الحاج: فلسطين إليكم الحقيقة، الجزء الأول، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2000، ص56.

(55) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، مرجع سابق، ص82.

إذا خرج الرجل مع طلوع الشمس من القدس متجهاً شرقاً أو شمالاً أو غرباً ففي وسعه أن يبلغ أطرافها في فترة وجيزة من الصباح، إنه لا يقطع إثنى عشر ميلاً من أي من هذه الاتجاهات إلا ويكون قد خرج من حدود تلك المقاطعة، أو التي يدعى رئيس العشيرة، أو ذلك الرجل التافه الذي يلقبونه « بملك القدس »، بأنها مملكة « ...إنها رقعة صغيرة في منديل مهلهل »[56].

أما الكاتب اليهودي الأمريكي **لويس براون** يقول في كتابه المسمى (حياة اليهود): « **إن إنجازات سليمان في أورشليم، وفي مقدِّمتها قصره الملكي، كانت تبدو في عيون اليهود السذّج من رعيته فخمة فخامة تفوق التصوُّر، مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة في مصر أو بابل أو الهند لَبَدَتْ ضئيلة سمجة الذّوَق** »[57].

كما إن نتائج التنقيبات الآثارية التي قام بها علماء آثار غير منحازين، أثبتت أن إنجازات داوود وسليمان على أنها نوع من المبالغات النصية التوراتية، بل أن هذه النتائج تؤكد أن ادعاء كاتبو التوراة عن قيام مملكة سليمان الموحدة، هو ادعاء لا أساس له من السند التاريخي والأركيولوجي، فالنصوص الآرامية، وسجلات مصر وآشور المعاصرة للقرن العاشر قبل الميلاد، تنفي تماماً تاريخية هذه المملكة[58].

بل إن « **إ. فنلكشاين**» وهو أبرز علماء الآثار في الكيان الصهيوني، يقول في بحث قدمه أمام ندوة عقدتها جامعة بن غوريون عام 1998: « ..مملكة داوود وسليمان ربما لم يكن لها وجود، وإذا وُجدت فقد كانت أبعد ما تكون عن هيكلية المملكة الحقيقية »[59].

---

(56) ج.م.ن.جفريز، ترجمة أحمد خليل الحاج: فلسطين إليكم الحقيقة، مرجع سابق، ص55.

(57) حسن ظاظا: القدس(مدينة الله..أم مدينة داوود؟)، دار القلم(دمشق)، الدار الشامية (بيروت)،ط1، 1998، ص72.

(58) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، مرجع سابق، ص57.

(59) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، مرجع سابق،ص89.

أما الذين كتبوا التوراة، فقد ادعوا إن سليمان بنى الهيكل في القدس، فراح علماء الآثار التوراتيون ينقبون في كل بقعة في فلسطين للعثور على ما يؤيد ما ادعته التوراة، ونتيجة ذلك، شهدت فلسطين في القرن التاسع عشر الميلادي سيلاً من البعثات التنقيبية بحثاً عن الهيكل المزعوم، ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً في العثور على ما ذهبوا إليه، بل إن عالمة الآثار السيدة كاثلين كينون، نصحت « **البعثات التنقيبية بعدم اضاعة المال والجهد من أجل التنقيب عن الهيكل، لأنهم لن يجدوا تحت أرضيات الحرم الشريف سوى قمة الهضبة الصخرية والردميات الترابية..** » [60]، إن ما توصلت إليه كينون من نتائج علمية، أغضب الكيان الصهيوني، فمنعها من دخول الأرض المحتلة.

وفي هذا السياق، واتساقاً مع الحقائق التاريخية التي أفرزتها نتائج الحفريات الآثارية، والتي تتناقض مع المبالغات النصية التوراتية، فقد صرّح «زائيف هيرتزوغ» الأستاذ في جامعة تل أبيب: « إن الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن العشرين قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة، كل شيء مختلق، ونحن لم نعثر على شيء يتفق والرواية التوراتية، إن قصص الآباء في سفر التكوين مجرد أساطير...وأصعب هذه الأمور أن المملكة الموحدة لداود وسليمان التي توصف بالتوراة بأنها دولة عظيمة، كانت في أفضل الأحوال مملكة قبلية صغيرة»[61].

وبذلك، فإن الكيان المزعوم الذي تشكل في زمن داوود وسليمان، لم يكن قد توافرت فيه المقومات القومية والثقافية، إذ لم تكن له لغة أو ثقافة أو حضارة خاصة به، بل كان قائماً كلياً على تراث كنعاني (فلسطيني) بَحت كما تؤكد الحقائق التاريخية[62].

---

(60) فراس السوّاح: تاريخ أورشليمن مرجع سابق، ص57.

(61) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، مرجع سابق، ص144.

(62) احمد سوسة: تاريخ العرب واليهود، مرجع سابق، ص577.

بعد موت سليمان خلفه ابنه «رُحبعام في الحكم»، الذي واجه تمرداً بقيادة «يُربعام بن نباط»، فنشب بينهما صراع مرير، أدى إلى تفكك ما يدعى مملكة سليمان، وانقسامها إلى مملكتين هزيلتين، الأولى في الشمال برئاسة «يربعام بن نباط» – وقد أطلق كاتبو التوراة عليها تسمية «مملكة اسرائيل»– فاتخذت من ترزا (تل الفرعة الحالي) مركزاً لها، ثم انتقل المركز إلى السامرة (سبسطية)، وقد سمى محرر دائرة المعارف البريطانية هذه المملكة بالمملكة الذيلية Rump Kinkdom[63]، والثانية في الجنوب برئاسة «رُحبعام بن سليمان» ، وعُرفت باسم « يهوذا »، ومركزها القدس (أورشليم)، وهذا يدل على أن سليمان فشل في توحيد القبائل حول ملكه في أورشليم، سياسياً ودينياً[64].

لقد كان « لكل من المملكتين لهجة مختلفة، فلهجة المملكة الشمالية أقرب إلى الفينيقية، بينما لهجة المملكة الجنوبية أقرب إلى الأدومية »[65]. كما أن كلتا المملكتين، إسرائيل ويهوذا، مارستا كل طقوس الديانة الكنعانية وتعبدتا للآلهة الكنعانية، وهذا يؤشر إلى أن هاتين المملكتين لم تكونا يهوديتين خالصتين، وبخاصة مملكة إسرائيل، وقد أشارت التوراة إلى أن سبب خراب هذه المملكة يعود إلى غضب « يهوه » الناتج عن عبادة ملوكها وسكانها للآلهة الكنعانية وممارسة جميع طقوس هذه الديانة[66]. فقد ورد في سفر (قضاة2/ 11– 12): « وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أُخرى من آلهة الشعوب الذي حَوْلهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البَعْل وعشتارورت..». كما جاء في سفر قضاة (2/ 6): « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة مؤاب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه ».

(63) ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس، بيروت، ط3، 1981، ص54.

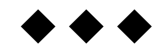
(64) فراس السوّاح: آرام دمشق، مرجع سابق، ص96.

(65) لطفي السومي: تلفيق التاريخ الإسرائيلي في مواجهة علم الآثار والدراسات التوراتية الحديثة، مجلة الحياة الفكرية، العدد (1)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009، ص73.

(66) لطفي السومي: مرجع سابق، ص74.

ولم تكن مملكة يهوذا أفضل حالاً من مملكة إسرائيل، فمعظم ملوك يهوذا تركوا عبادة «**يهوه**» وعبدوا آلهة الكنعانيين، وتأكيداً على ذلك، جاء في سفر إرميا (الإصحاح الحادي عشر/ 13): « لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزي مذابح للتبخير للبعل ».

إن ما ورد سابقاً يثير تساؤلاً في غاية الأهمية: هل كانت المملكتان كنعانيتين ؟ إن الذين كتبوا التوراة ألبسوا تلك المملكتين ثوباً إثنياً مزيفاً يعود في أصوله إلى يعقوب (إسرائيل)، وهذا يتنافى تماماً مع ما توصل إليه البحث الأكاديمي المستند إلى علم الآثار الذي أكد أن لا صلة إثنية بين كل من إبراهيم ويعقوب (إسرائيل) وموسى وبين اليهود الذين تدعيهم التوراة، فاليهود هم أتباع ديانة يهودية، وينتمون إلى إثنيات مختلفة ومشارب ثقافية متنوعة، وبالتالي لا يمكن أن يطلق عليهم صفة شعب.



الآشوريون يزيلون مملكة إسرائيل

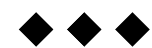
شكّل الآشوريون واحدة من الهجرات العربية التي قدمت من موطنها الأصلي في شبه الجزيرة العربية، واستقرت في بلاد الرافدين (العراق) في مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد[67]، فأسسوا مدينة آشور نسبة إلى إلههم القومي« آشور» والتي غدت فيما بعد عاصمة لإمبراطوريتهم.

تطلع الآشوريون نحو آسيا الصغرى، فتوغلوا في أراضيها خلال القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، ومع مطلع القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وصلوا إلى البحر الأسود، كما بلغت آشور قمة مجدها العسكري في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فأصبحوا القوة العظمى في المنطقة، حيث أسسوا إمبراطورية واسعة الأرجاء « بلغت من القوة العسكرية بحيث سيطرت في ذروة اتساعها على منطقة الشرق الأوسط، ومن ضمنها آسيا الصغرى وسواحل إيجة ومصر والخليج العربي وعيلام»[68].

جرد الملك تغلات بيلاصر الثالث (745- 727 ق.م) الحملات العسكرية على بلاد الشام، فاحتل سنة (732ق.م) دمشق عاصمة الآراميين، وتطلع إلى فلسطين باعتبارها خط الدفاع الأول لحماية آشور من الخطر المصري.

وفي سنة 721ق.م، سقطت السامرة (عاصمة مملكة إسرائيل)، وفي السنة نفسها تم سبي سكان السامرة إلى بلاد آشور(العراق)، وهناك اندجوا مع البيئة الاجتماعية الجديدة، وانصهروا فيها، وذابوا تماما، ولم يرجعوا قط إلى فلسطين.

وبسقوط السامرة . انتهت مملكة إسرائيل، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك، كما اختفى الإسم « إسرائيل »، وبطل استعماله، وحل محله اسم السامرة للدلالة على المقاطعة الشمالية من فلسطين[69].



(67) نور الدين حاطوم وآخرون: موجز تاريخ الحضارة، ج1،مطبعة الكمال، دمشق، 1965، ص212.

(68) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق، ص203.

(69) فراس السوّاح: آرام دمشق وإسرائيل، مرجع سابق، ص250.

البابليون يزيلون مملكة يهودا

من هم البابليون؟

للتعرف إلى البابليين ، لا بد من تتبع أصولهم، فالبابليون انطلقوا من شبه الجزيرة العربية مع الهجرات العربية القديمة فيما بين الألفين الرابعة والثالثة قبل الميلاد، وحطوا رحالهم في بلاد الرافدين (العراق)، ويعود الفضل إلى (سومو- آبو) في تأسيس الدولة البابلية في حوالي 1894ق.م، أما حمورابي (792- 750 ق.م)، فقد عمل على تقوية الجيش وتدريبه، فاستطاع « أن يوحد بلاد الرافدين مع قسم من سورية في دولة مركزية واحدة عاصمتها مدينة بابل »[70].

إلا أن دولة بابل سقطت فيما بعد على يد الغزاة الحثيين والكاشيين والعيلاميين، ولكن البابليين تمكنوا من استعادة سيطرتهم على البلاد، وتأسيس الدولة البابلية الثانية (الكلدانية)، والكلدانيون « قريبون من البابليين من حيث الأصل واللغة، لذلك انصهروا بسرعة معهم، حتى إنه فيما بعد أصبحت الكلمتان – بابلي وكلداني – مترادفتين »[71].

بظهور الكلدانيين (الدولة البابلية الثانية) كقوة إقليمية صاعدة، أدرك المصريون أن نفوذهم في سورية وفلسطين أصبح في خطر، فأعلنوا صراحة أنهم لن يتخلوا عن مناطق نفوذهم، ليس في فلسطين فحسب، بل وحتى شمالي بلاد الشام، « لكن البابليين (الكلدانيين) تمكنوا من بسط نفوذهم على الهلال الخصيب وغربي آسيا كله »[72].

حاول المصريون تدارك الموقف، فحرضوا الدويلات الصغيرة الخاضعة لنفوذها ضد البابليين، وبخاصة مملكة يهودا، فانصاعت يهودا لأوامر المصريين وتوجيهاتهم، فأعلنوا التمرد ضد البابليين، فامتنعوا عن دفع الجزية لهم، فجاء رد البابليين قوياً وعنيفاً، فجرد نبوخذ نصر حملة عسكرية على يهودا، فدخل القدس (أورشليم) سنة (597ق.م)، وسبى اليهود من سكانها إلى بابل، وكان هذا السبي الأول.

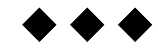
---

(70) نعيم فرح: تاريخ حضارة العالم القديم وما قبل التاريخ، دمشقن 1975، ص110.

(71) نعيم فرح: تاريخ العالم القديم وما قبل التاريخ، مرجع سابق، ص168.

(72) عبد الله الحلو: سورية القديمة من أقدم الأزمنة حتى أوائل العصر البيزنطي، مطبعة ألف باء- الأدب، دمشق، ط1،2004، ص799.

وفي سنة (586ق.م) [73] قاد نبوخذ نصر ـ الحملة العسكرية الثانية، فاحتل القدس (أورشليم) وخَربها، وسبى سكانها من اليهود، وكان هذا السبي الثاني في عهد نبوخذ نصر، بحيث خلت المقاطعة الصغيرة -التي كانت تدعى مملكة يهودا- من السكان اليهود تماماً، وبهذا زالت يهودا من الوجود، تماماً كما زالت أختها الهزيلة إسرائيل، بينما الفلسطينيون أصحاب الأرض الأصليين لم يبرحوها منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد وحتى الآن.



(73) نعيم فرح: مرجع سابق، ص169.

الاحتلال الفارسي للقدس

يعود الفضل إلى قورش في تأسيس الامبراطورية الفارسية، الذي كان حكمه ما بين(559 أو 557- 529 ق.م) [□□]، فقد أخضع قورش كل بلاد آسيا الصغرى حتى ساحل البحر المتوسط، فبسط سلطاته على المدن اليونانية، ووصل حتى نهر السند.

تطلع قورش للسيطرة على المملكة الكلدانية (البابلية)، فجرد حملة عسكرية لهذه الغاية، فتمكن من احتلال بابل في سنة(539ق.م)، وبسقوط بابل « كان يعني أن كافة مناطق الهلال الخصيب أصبحت تلقائياً تحت سلطة الإمبراطورية الفارسية الكبرى، وقد شملت هذه الإمبراطورية خلال عقدين من الزمن قسماً كبيراً من آسيا الصغرى حتى الساحل السوري مع مصر. والمدن الإيونية (اليونانية) في غربي آسيا الصغرى »[□□].

لم تكد تنقض سنة كاملة على احتلال بابل ودخول الهلال الخصيب تحت السيادة الفارسية ومن ضمنها فلسطين، حتى اتخذ قورش أحد أهم الإجراءات السياسية وأبعدها أثراً عبر الزمن بإصداره مرسوماً يقضي بالسماح لليهود الذي رحّلهم نبوخذ نصر. إلى بابل بالعودة إلى فلسطين، ويرجح بعض المؤرخين أن المرسوم الذي أصدره قورش ربما كان مكافأة للجالية اليهودية التي تآمرت مع الفرس في احتلال بابل، بينما هناك من يشكك في صحة المراسيم التي سمحت للجالية اليهودية بالعودة إلى القدس (أورشليم)، وبخاصة أن الذين رَوجوا لهذه المراسيم، هم محررو التوراة، الذين اعتبروا أن (يد الله) كانت وراء الحدث، وفي هذا السياق، أُعتبر قورش مخلصاً بعثه الله، وهو بمثابة «المسيح المنتظر» ، إن الرواية التوراتية لا يمكن اعتبارها رواية تاريخية، بل هي واحدة من الروايات العجائبية الأسطورية التي ابتدعها محررو التوراة ليحققوا مآربهم[□□].

(74) عبد الله الحلو: مرجع سابق، ص826.

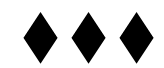
(75) عبد الله الحلو: مرجع سابق، ص825.

(76) إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1996، ص109.

إن المرسوم الذي أصدره قورش، يطال الإذن بالعودة فقط إلى أولئك الذين أجلاهم نبوخذ نصر- وذريتهم، من دون سواهم، على أن تكون العودة إلى القدس (أورشليم) فقط ، وليس إلى كل فلسطين.

لم يخوّل قورش أيّاً من العائدين اليهود سلطة سياسية، بل اقتصر الأمر على حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية، أما السلطة السياسية فكانت بيد الحاكم الفارسي على مدينة القدس (أورشليم) (□□).

ورغم ما أوردته التوراة، فإن الذين عادوا من الجالية اليهودية المقيمة في بابل لم يتجاوزوا نصف تلك الجالية عدداً، أما النصف الآخر فقد آثر البقاء، والذين عادوا لم « يشكلوا أي نسبة تستحق الاهتمام من مجموع سكان فلسطين الكلي »(□□).



(77) إلياس شوفاني: مرجع سابق، ص109.

(78) سامي سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، مرجع سابق، ص283.

القدس تحت الاحتلال اليوناني

الهلّينيون، الإغريقيون، اليونانيون:

الإغريق شعب آري من الفرع الغربي للشعوب التي أطلق عليها اسم « الشعوب الهندو-أوروبية »، ويعتقد الإغريق جميعاً أنهم ينحدرون من جد واحد هو « هيلاّس Hellas » وهذا ما جعل اسم الهلّينيين يطلق عليهم[79]، أما تسميتهم بالإغريق، فقد أطلقها عليهم الرومان نسبة إلى قبيلة غرايكوى، ومنها اشتقوا اسم إغريقي أو غريس وبالعربية « إغريقي »، أما الفينيقيون فقد أطلقوا على المستعمرات التي أسسها الأيونيون على الشاطئ الجنوبي من آسيا الصغرى اسم ياوون، وحوره العرب إلى يونان، فأصبح هذا الاسم يطلق على اليونانيين عامة[80]، تمكن الفرس من فرض سيطرتهم على المدن اليونانية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى، فتنبهت أثينا إلى الخطر الذي يتهددها طالما ظل الفرس يسيطرون على آسيا الصغرى وسواحل الحوض الشرقي للبحر المتوسط، فشكلت أثينا حلفاً من المدن اليونانية باسم «حلف ديلوس »، وقد نجح هذا الحلف في سنة (468 ق.م) في طرد القوات الفارسية نهائياً من مياه بحر إيجة وسواحل آسيا الصغرى[81].

وفيما بعد دب الخلاف بين المدن اليونانية، وتطور هذا الخلاف إلى حروب طاحنة بينها، مما أدى إلى إضعافها واستنزاف طاقاتها، فأفسح هذا الخلاف المجال أمام الفرس لتثبيت دعائم سلطتهم في آسيا الصغرى، وفي هذه الظروف الصعبة ظهرت دولة مقدونية الذي تبوأ عرشها سنة (360 ق.م) فيليب الثاني الذي تطلع إلى توحيد بلاد اليونان تحت سلطة مقدونيا، فأخذ يُعد العدة لهذه الغاية ولطرد الفرس من سواحل آسيا الصغرى، غير أن وفاته في نهاية عام (336 ق.م) أخّرت تنفيذ خطته، إلا أن ابنه الإسكندر الكبير(المقدوني)، عقد العزم على تنفيذ خطة والده، فنجح في توحيد بلاد اليونان تحت سلطته، وبذلك قضى على كياناتها السياسية المتعددة، وأقام نظاماً ملكياً مركزياً قوياً[82].

(79) نور الدين حاطوم وآخرون: مرجع سابق، ص370.

(80) نعيم فرح: مرجع سابق، ص285،286.

(81) عبد الله سليم عمارة: تاريخ فلسطين القديم(بين الحقيقة والتزوير)، دار النمير، دمشق، 2009، ص107.

(82) عبد الله سليم عمارة: مرجع سابق، ص109.

وبفضل الوحدة التي حققها الإسكندر المقدوني، تمكن في خلال أربع سنوات (334- 330 ق.م) من تحقيق انتصار أسطوري بقضائه على الإمبراطورية الفارسية، وبذلك دانت له فارس والهند وبابل ومصر وبلاد الشام ومن ضمنها فلسطين.

توفي الإسكندر في سنة (323 ق.م) (□□)، فجلبت وفاته الاضطراب والفوضى التي عمّت امبراطوريته الواسعة، فدب الخلاف بين قادته (سلوقس، وآنتيغونس، وبطليموس)، فأسس سلوقس دولة السلوقيين التي ضمت فارس وآسيا الصغرى، أما بطليموس، فقد أسس دولة البطالمة، وضمت مصر، كما استبد أيضاً بالأجزاء الشامية الواقعة إلى الجنوب من خط يمتد جنوبي دمشق تقريباً إلى الساحل غرباً على مقربة من اللاذقية.

تناوب على حكم القدس البطالمة والسلوقيون، فقد بقيت القدس تحت سلطة البطالمة حتى تمكن « أنطوخيوس الثالث » السلوقي (223- 187 ق.م) من انتزاعها من البطالمة وإلحاقها بدولة السلوقيين في سنة (197 ق.م)، وبقيت تحت سيطرتهم حتى احتلها الرومان سنة (63 ق.م) (□□).

وعندما اعتلى أنطوخيوس الرابع (أبيفانس) عرش السلوقيين، وفي أثناء فترة حكمه (175- 164 ق.م)، أدخل تعديلات كبيرة على الحكم، فقد عُرف أبيفانس بحماسته الشديدة لنشر الحضارة اليونانية وتكريسها، بهدف أغرقة شعوب الأقاليم الخاضعة لحكم السلوقيين فعمل على تحويل القدس (أورشليم) إلى مدينة يونانية، فتمرد سكانها عليه ومنهم اليهود ، فسارع إلى وأد هذا التمرد، كما بنى قلعة الأكرا في أورشليم، ووضع فيها حامية سلوقية دائمة لحفظ الأمن، ثم أصدر مرسوماً استبدل به الشريعة اليهودية الحاكمة للعلاقات المدنية بالقانون المدني السلوقي، « كما منع اليهود من ممارسة شعائرهم وطقوسهم وعباداتهم، على اعتبار أورشليم مدينة يونانية فقط »(□□).

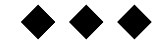
(83) نعيم فرح: مرجع سابق، ص316.

(84) عبد الله سليم عمارة: مرجع سابق، ص111.

(85) إلياس شوفاني: مرجع سابق، ص119.

عندما بدأت الدولة السلوقية تعاني من ضعفها وتفكك أجزائها، وغياب سلطتها المركزية، أستغل اليهود أوضاع الدولة السلوقية المنهارة، فأعلنوا تمردهم على الحكم السلوقي، وقاد هذا التمرد ماتثياس (متى) Mattathias وأبناؤه الخمسة، وكان أبرزهم جوداس judas الذي سُمي «المطرقة» وهي بالعبرية «مكابي» وعُرفت حركته باسم الحركة المكابية، وقد تمكن المكابيون من تولي إدارة مدينة القدس (أورشليم) وإقامة حكم فيها يتصرف ككيان ذاتي دام قرابة ثمانين عاماً(142- 63 ق.م).

إلا أن هذا الكيان انهار تماماً عندما أحتل القائد الروماني «بومبي Pompey » القدس في سنة (63 ق.م)، فعادت « القدس إلى وضعها الطبيعي كمقاطعة فلسطينية صغيرة تابعة للولاية السورية الكبرى التي يحكمها قنصل روماني من دمشق»[86].



(86) الموسوعة الفلسطينية: القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثاني، ط1، ص152.

القدس تحت الاحتلال الروماني

بعد أن احتل الرومان فلسطين سنة 63 ق.م ، أعادوا تشكيلها في وحدات إدارية جديدة، فألغى بومبي حكم المكابيين في مدينة القدس، وظل اليهود يتحينون الفرص، فاستغلوا الخلافات التي نشبت بين قادة الرومان، فكانوا يعملون على توسيع شقة الخلاف بين أولئك القادة، فيقفون إلى جانب القوي منهم، فلما نشب الخلاف بين بومبي ويوليوس قيصر، انحازوا إلى جانب بومبي، وبهزيمته تخلوا عنه، وسرعان ما تقربوا من المنتصر- يوليوس قيصر-، فكافأهم بأن عين أنتيباتر Antipater حاكماً على منطقة القدس، وقام هذا الأخير بتعيين ابنه هيرودوس الأدومي (واسمه العربي حرد) (□□) حاكماً على مدينة القدس، فنجح في إقامة مملكة مصطنعة بغطاء روماني، عُرفت باسم مملكة هيرودوس، لقد كان هيرودوس أدومياً من جهة الأبوين وهذا سبب تلقيبه بالعربي، لأن الأدوميين ينتمون إلى الذخيرة السكانية لشبه الجزيرة العربية، أما عن ديانة هيرودوس فكانت نوعاً من اليهودية السياسية التي ورثها عن أبيه أنتيباتر الذي لم يولد من أسرة يهودية ولكنه تهود، حيث فرضت اليهودية على الأدوميين بحد السيف، لكن ذلك لم يغير من عنصرهم العربي...من هنا، فإن اليهود لم يعتبروه يهودياً قط، مثلما لم يعتبر نفسه كذلك(□□) .

مات هيرودوس في سنة (4 ق.م)، وبموته عمّت الفوضى القدس وجميع أرجاء البلاد التي كانت تحت حكمه، فسارعت الإدارة الرومانية في سنة (6 ق.م) إلى إعادة فلسطين جمعاء مقاطعة رومانية، وجعلها جزءاً من ولاية سورية.

إن مملكة هيرودوس كانت كياناً سياسياً مصطنعاً استحدثه الرومان ليكون في خدمة مصالحهم « ولا أدل على الصفة المصطنعة لهذه المملكة أن أياً من المؤرخين لم يطلق عليها اسماً معيناً، فلقد كانت بكل بساطة مملكة هيرود كياناً سياسياً مفصلاً على مقاسه...ولم تكن مملكة هيرود يهودية، بل على العكس عمل هيرود طيلة حياته على قمع روح العصبية اليهودية.. »(□□) .

---

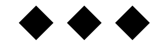
(87) زياد منى: مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، دار بيسان، بيروت، 2000، ص147.

(88) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، مرجع سابق، ص266.

(89) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، مرجع سابق، ص273.

شهدت فلسطين بعامة والقدس بخاصة في الفترة ما بين (66- 135م) حركات أخذت طابع الحرب الطائفية الأهلية تارة، وحركات تمرد وعصيان ضد الرومان تارة أخرى، فقد نشب في القدس (أورشليم) صراع بين الفئات اليهودية المتناحرة، ففي ربيع سنة (70م)، فرض القائد الروماني « تيطس Titus الحصار على القدس (أورشليم)، وكانت الأوضاع فيها قد تدهورت إلى حد أن الحصار لم يردع المتصارعين عن الاستمرار في القتال بين بعضهم البعض»[90]، ثم ما لبث أن سقطت المدينة بيد تيطس، وذلك بعد أن هُدمت أسوارها.

وفي عام 132م، قام اليهود بحركة تمرد وعصيان، فتمكنوا من السيطرة على مدينة القدس، إلا أن الإمبراطور هادريان تمكن عام (135م) من القضاء على تلك الحركة، فدمر القدس (أورشليم)، وحرث موقعها، وأعاد تخطيطها كمستعمرة رومانية[91]، « وحظر على اليهود دخول المدينة، وأجلاهم من جوارها...ومنذئذ، صار الرومان يسمون المدينة الجديدة « إيليا كابيتولينا »، والبلد فلسطين سورية»[92].



(90) إلياس شوفاني: مرجع سابق، ص139.

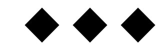
(91) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2001، ص34.

(92) إلياس شوفاني: مرجع سابق، ص139.

القدس تحت الاحتلال البيزنطي

أدرك الإمبراطور البيزنطي « قسطنطين » أن روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية يتهددها الخطر الجرماني، فشيد في سنة(330م) مدينة القسطنطينية – نسبة إلى اسمه – على ضفاف البسفور محل بلدة بيزنطة القديمة، وجعلها عاصمة الإمبراطورية الرومانية بدلاً من روما، ويُعد ذلك بداية التاريخ البيزنطي[93] .

كانت الإمبراطورية الرومانية تعيش مخاضاً، أدى في أواخر القرن الرابع الميلادي إلى تقسيمها في سنة (395م) إلى قسمين: غربي وعاصمته روما، وشرقي وعاصمته القسطنطينية (بيزنطة)، وبذلك أصبحت القدس (ايليا) تابعة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة)، أما روما فقد سقطت على يد الغزاة الجرمان في سنة (476م)، وبسقوطها زالت الإمبراطورية الرومانية الغربية، أما الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية)، فقد استمرت نحو الف سنة بعد ذلك، إلى أن سقطت في سنة (1453م) على يد محمد الفاتح[94].



(93) سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص25.
(94) عبد الله عمارة: مرجع سابق، ص134.

القدس مهد المسيحية

ولد المسيح «يسوع الناصري» في بيت لحم، ولعل ذلك كان في سنة(4 ق.م)، وبولادته ظهرت الديانة المسيحية التي تولى أتباعها نشرها، وفي سبيل ذلك، لاقت المسيحية واتباعها الممانعة والاضطهاد وبخاصة من اليهود[95].

وبذلك، تُعد فلسطين موئل المسيحية وبخاصة القدس، وقد مرّ انتشار المسيحية بثلاثة أدوار، فالدور الأول هو الذي تلا أيام المسيح مباشرة، ويسمى عصر الرسل (30- 95 م)، وفي هذا الدور، اتخذ المسيحيون من الجليل منطلقاً للتبشير بالمسيحية، ثم ما لبثوا أن اتخذوا من القدس مركزهم الأول، فذاقوا الأمَرّين عل أيدي اليهود. ومع نهاية هذا الدور، كانت المسيحية قد انتشرت بين جماعات صغيرة متفرقة في أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

أما المسيحية في دورها الثاني (95- 180 م)، فقد أخذ منحى انتشارها أسرع في خارج فلسطين، لأنها طرحت نفسها ديانة عالمية، وليست عقيدة خاصة باليهود،أما انتشارها في فلسطين فقد تباطأ بسبب مقاومة اليهود لها.

شهدت المسيحية تطوراً هاماً في دورها الثالث، إذ أن الإمبراطور قسطنطين Constantine (306 -337 م) اعتنق المسيحية في سنة 312 م، وكان لاعتناقه المسيحية الأثر الكبير في تبدّل موقف الدولة الرومانية من هذه الديانة، وتجلى هذا التبدّل في إعلان قسطنطين في سنة 313 م مرسوم «ميلان» الشهير الذي «وَضعَ الديانة المسيحية كإحدى الشرائع المصرّح باعتناقها داخل الإمبراطورية، بمعنى أن يتمتع المسيحيون في الإمبراطورية بكافة الحقوق التي يتمتع بها غيرهم من أتباع الديانات الأخرى»[96]، وبذلك أصبحت ديناً رسمياً من أديان الدولة.

إن قسطنطين باعتناقه المسيحية وبإصداره مرسوم ميلان الشهير، رأى فيها أقدم عليه دعماً لمكانته وعامل « توحيد لشعوب الإمبراطورية وتصليباً لوحدتها عبر وحدة الكنيسة »[97].



(95) عبد الله عمارة: مرجع سابق، ص152.

(96) سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق، ص36.

(97) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص40.

الفصل الثالث
القدس في العصور الإسلامية

القدس قبيل تحريرها

ظلت سورية ومن ضمنها فلسطين تحت رحمة الحروب الطاحنة بين دولتي بيزنطة وفارس، فقد كانت هذه الحروب تشتد تارة وتهدأ أخرى، كما كان الطرفان يتناوبان الانتصار والخسارة في تلك الحروب، ففي سنة (614 م) تمكن الفرس من هزيمة البيزنطيين، فاحتلوا القدس، فذبحوا من سكانها تسعين ألف مسيحي، «ويعتقد بعض المؤرخين أن الفرس قاموا بهذه الأعمال بتحريض من اليهود، وان هؤلاء قتلوا من المسيحيين أكثر مما قتل الفرس»[98].

إن هذا الموقف التحريضي لليهود جاء تعبيراً عن عدائهم لرورما وللمسيحية، هذا العداء المتأصل في نفوسهم منذ اعتناق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية وجعلها الديانة الرسمية للدولة الرومانية.

وكان من نتيجة هذه الحروب أن فقد البيزنطيون سورية بما فيها فلسطين لبعض السنين، إلى أن تمكن الإمبراطور البيزنطي «هرقل» من تجميع قوى دولته، فهزم الفرس، واسترد فلسطين ، ودخل القدس في عام (629 م)، وانتقم من اليهود على خيانتهم للدولة[99]، ولكن سرعان ما تمكن العرب من القضاء على الدولة الفارسية ومن هزيمة بيزنطة، فحرروا العراق وبلاد الشام ومصر من الإحتلالين الفارسي والبيزنطي[100].

(98) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص40.

(99) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، إصدارات وزارة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2001، ص35.

(100) عبد الله سليم عمارة: تاريخ فلسطين القديم (بين الحقيقة والتزوير)، دار النمير، دمشق، 2009، ص136.

تحرير القدس من الاحتلال البيزنطي

انطلقت حركة الفتوحات العربية الإسلامية من شبه الجزيرة العربية لتحرير مصر وبلاد الشام من الاحتلال البيزنطي، وكانت فلسطين بوابة هذه الفتوحات، فقد حقق الفاتحون العرب انتصارات مهمة في المعارك التي وقعت في فلسطين، ومن أبرزها هزيمة البيزنطيين (الروم) في معركة اليرموك في سنة (15 للهجرة/ 636 م) [101]، ففي هذه المعركة انهارت الجيوش البيزنطية ، وانسحبت تاركة شمال سورية مفتوحاً أمام الجيوش العربية الظافرة[102].

أما في فلسطين فقد أصبح الطريق مفتوحاً إلى بيت المقدس، وقد ساعد على ذلك الانتصارات التي حققها المسلمون وهروب القائد البيزنطي من إلياء التي بقيت تحت سلطة البطريرك «صفرنيوس»، الذي اشترط تسليم المدينة المقدسة إلى الخليفة عمر بن الخطاب نفسه[103]، فطلب أبو عبيدة بن الجراح من الخليفة عمر بن الخطاب أن يأتي إلى المدينة لأن سكانها يأبون التسليم إلا إذا حضر الخليفة شخصياً لتسلم المدينة[104].

دخل عمر بن الخطاب القدس في سنة (15 للهجرة/ 636م)، فأمر الخليفة من فوره أن يبلغوا البطريرك صفرنيوس قدومه ، فجاء البطريرك حاملاً الصليب المقدس على صدره، وجاء معه عدد من الأساقفة والقسيسين والشمامسة والرهبان حاملين الصلبان، فتقبلهم الخليفة بمزيد من الاحتفاء والإكرام، وبعد أن تحادثوا في شروط التسليم، حرص الخليفة أن يوفر لأهل إلياء الأمن والأمان، فكتب لهم وثيقة تحفظ لهم كرامتهم وحرية معتقداتهم، وقد عُرفت هذه الوثيقة بالعهدة العمرية، وهذا نصها[105]:

---

(101) فاروق عمر: تاريخ فلسطين السياسي في العصور الإسلامية، مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، العين، 1983، ط1، ص59.

(102) إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1996، ص163.

(103) إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، مرجع سابق، ص164.

(104) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث (ص– ك)، دمشق، 1984،ط1، ص511.

(105) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مرجع سابق، ص47،46.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان:

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم. سقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صلبهم، ولا من شئ من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. فمن شاء منهم قعد، وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم..

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب سنة 15 للهجرة « **شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة** ».

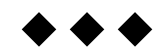
وكان البطريرك صفرنيوس قد اشترط استمرار القرار الروماني القديم بمنع اليهود من النزول في المدينة، وذلك لتجنيب المسيحيين من المصائب التي حلّت بهم من وراء اليهود، ولكن عمر بن الخطاب وانطلاقاً من تشربه لروح الإسلام وتسامحه اعتذر عن قبول هذا الشرط، لأن « القرآن قد حدد ما لأهل الكتاب وما عليهم، وليس فيه شئ يسمح بهذا، ولكنه تعهد لمسيحيِّي القدس بألاَّ يدخل أحد من اليهود إلى مقدساتهم أو يسكن في حاراتهم »(106).

(106) حسن ظاظا: القدس (مدينة الله..أم مدينة داوود؟)، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)،ط1، 1998، ص96.

بعد أن تسلم عمر بن الخطاب القدس (إلياء) من البطريرك صفرنيوس، فإن أول عمل قام به، زيارته لكنيسة القيامة، « ولما كان في داخلها حان وقت الصلاة، فأشار عليه البطريرك صفرنيوس أن يصلي في داخل الكنيسة قائلاً (مكانك صلِّ)، ولكن عمر أبى، وخرج من الكنيسة، وصلى في مكان على مقربة منها، خشية أن يتخذ المسلمون صلاته في داخل الكنيسة ذريعة فيضعوا أيديهم عليها، فقابل النصارى عمله هذا بالشكر، وذكره المؤرخون بالتقدير »[107].

وبعد أن تمّ تحرير فلسطين، عَيّن الخليفة عمر بن الخطاب «عبادة بن الصامت قاضياً على فلسطين، وبذلك يكون عبادة أول قاض عُيّن لفلسطين في العهد الإسلامي الجديد، كما كان يزيد بن أبي سفيان أول أمير للقدس على أن يكون تابعاً لأبي عبيدة »[108].

ونظراً لسماحة الإسلام، فقد حافظ العرب على الأماكن المقدسة المسيحية واليهودية، وبقيت تلك الأماكن في يد أصحابها يمارسون عباداتهم وفقاً لأصول شعائرهم [109]. وتأكيداً على ذلك، تقر دائرة المعارف اليهودية بأن: « فتح العرب للبلاد أنقذ يهود فلسطين من الدمار الكامل »[110].



(107) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مرجع سابق، ص48.

(108) فاروق عمر: تاريخ فلسطين السياسي في العصور الإسلامية، مرجع سابق، ص62.

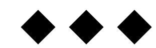
(109) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص35.

(110) ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم، دار النفائسن بيروت، ط3، 1981، ص135.

القدس في عصر الأمويين

نالت فلسطين وبخاصة القدس اهتماماً كبيراً في زمن الأمويين، حتى قيل: « ما فتحت بفلسطين كورة إلا وُجد عندها رجل أموي ميتاً، وذلك لمكانتها ففيها قبة الصخرة موقع المعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين »[111]، وبسبب أهميتها الدينية والتاريخية، اختار معاوية بن أبي سفيان القدس مكاناً للمناداة به خليفة للمسلمين [112]، فقد بويع بيعة الجماعة سنة (40 للهجرة/ 660 م)، ثم بويع سنة (41 للهجرة/ 661 م) في بيت المقدس، وتبع معاوية في اخذ البيعة ببيت المقدس كل من عبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك [113].

ومن مظاهر تكريم الأمويين للقدس، قيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ببناء مسجد قبة الصخرة المشرفة سنة (72 للهجرة/ 691 م)، ثم شرع في بناء المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد بن عبد الملك سنة (705م) [114] كما أقام الخلفاء الأمويون قصوراً لهم حول الحرم القدسي الشريف.



(111) فاروق عمر: تاريخ فلسطين السياسي في العصور الإسلامية، مرجع سابق، ص73.

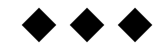
(112) فاروق عمر: تاريخ فلسطين السياسي في العصور الإسلامية، مرجع سابق، ص73.

(113) الموسوعة الفلسطينية، المجلد السادس، القضية الفلسطينية، بيروت، 1990، ط1، ص810.

(114) رائف يوسف نجم وآخرون: مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ط1، 1983، ص28.

القدس في عصر العباسيين

أما العباسيون فلم يكونوا أقل اهتماماً من الأمويين بالقدس، فرمموا المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، كما زارها الخلفاء العباسيون، ومنهم المنصور والمهدي والمأمون، وأن الخليفة أبا جعفر المنصور استن سنة تقتضي بأن يقوم كل خليفة عباسي بزيارة القدس ولو مرة واحدة في حياته[115]، ورغم أن الدولة العباسية انفرط عقد وحدتها في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، حيث ظهرت دول انفصالية مستقلة تماماً عن الخلافة العباسية، وأن هذه الدول رأت في القدس تعزيزاً لمكانتها كالطولونيين والاخشيديين والفاطميين، أما الطولونيون فقد أدخلوا القدس في حوزتهم سنة(265- 292 للهجرة/ 878- 905م)، وتلاهم في حكمها الإخشيديون سنة (327 – 359 للهجرة/ 939- 969م) [116]. ويسجل للإخشيديين أن القدس نالت في عهدهم منزلة خاصة، حتى أن معظم أمرائهم أوصوا بأن يدفنوا فيها، ومنهم محمد بن طغج الاخشيدي مؤسس الدولة الاخشيدية، وعلي بن الاخشيد وكافور الإخشيدي[117].



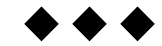
(115) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص81.

(116) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث (ص- ك)، مرجع سابق، ص512.

(117) فاروق عمر: تاريخ فلسطين السياسي في العصور الإسلامية، مرجع سابق، ص123.

القدس في عصر الفاطميين

أما الفاطميون (909-1171م)، فقد دخلت القدس في ولايتهم سنة(969م) [118]، ففي عهدهم تم ترميم سور الحرم الشريف والمسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، وذلك، إثر تعرض الحرم الشريف لزلازل كثيرة في عامي (1016م و 1035م) [119]، إلا أن بلاد الشام والقدس شهدت صراعاً بين السلاجقة والفاطميين، وكان من نتيجة ذلك أن تمكن السلاجقة من فرض سيطرتهم على القدس لفترة قصيرة امتدت من سنة 1070م إلى سنة 1098م، ولكن سرعان ما عادت القدس تحت السيطرة الفاطمية لمدة سنة واحدة فقط (1098- 1099م).



(118) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص37.

(119) الموسوعة الفلسطينية: المجلد السادس، القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص812.

القدس تحت الاحتلال الإفرنجي

استغل الفرنجة (الصليبيون) حالة التفكك والانقسام التي كان يعيشها المشرق العربي، فبدأت حملاتهم تغزو بلاد الشام، فتمكنوا في التاسع عشر من شهر (يونيو/ حزيران 1097م) من الاستيلاء على مدينة نيقية عاصمة دولة السلاجقة، وكان هذا النصر الساحق الذي أحرزه الفرنجة على السلاجقة حافزاً قوياً، دفعهم على مواصلة الزحف نحو بلاد الشام وصولاً إلى فلسطين، ففي سنة 1098م استولوا على الرُّها، وأسسوا فيها أول إمارة في المشرق العربي، وفي السنة نفسها، استولوا على أنطاكية، وأسسوا فيها الإمارة الفرنجية الثانية، رأى الفرنجة أن الأحوال المتردية في المشرق العربي تشجعهم على تنفيذ مخططهم الاحتلالي، ففي تشرين الثاني/ نوفمبر 1098م، واصلوا زحفهم صوب بيت المقدس ، وفي أثناء زحفهم « مرّوا بمعرة النعمان، فقاموا بمذبحة مزلزلة حتى اختلط الزيت المخزون في الآبار فيها مع الدماء والجثث»[120]، وتابع الفرنجة زحفهم متخذين من الساحل السوري الطريق المؤدي بهم إلى فلسطين، فدخلوا طرابلس، ثم بيروت فصيدا وصور، وتابعوا المسير أمام عكا وحيفا، ثم قيسارية، ثم أرسوف ، وعند أرسوف توجه الجيش الزاحف نحو الداخل فوصل الرملة (3 حزيران/ يونيو سنة 1099) وفي مساء الثلاثاء (7يونيو/ حزيران/ 1099م)، عسكر الجيش الفرنجي بمجموعه أمام المدينة المقدسة التي كانت تحت حكم الفاطميين [121].

(120) شاكر مصطفى: فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، الدراسات التاريخية، ط1، بيروت، 1990، ص368.

(121) شاكر مصطفى: فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي، مرجع سابق، ص368.

واجه الفرنجة مقاومة عنيفة استمرت أربعين يوماً، وفي يوم الجمعة (15تموز/ يوليو1099)، تمكن الفرنجة من اقتحام بيت المقدس، وأعقب ذلك مذبحة فظيعة، وأبيحت المدينة للسلب والنهب والقتل عدة أيام وفاض الدم، وظلت الجثث مطروحة في شوارع القدس عدة أيام (□□□)، ولم يسلم مسيحيو القدس من تلك المذابح، ومن أعمال السلب والنهب، كما استولى الفرنجة على أديرتهم، وطردوهم من كنائسهم وبيوتهم، فاضطر البطريرك إلى الهرب إلى القاهرة، ليعيش في حماية الفاطميين، وفي الخامس والعشرين من كانون الثاني / ديسمبر **1100**، أعلن عن قيام «مملكة بيت المقدس اللاتينية »، وكانت هذه المملكة في ذلك الحين تتكون من مدينة بيت المقدس نفسها إلى جانب يافا، واللد، والرملة، وبيت لحم، والخليل، كما كان لها ظهير ريفي تسكنه أغلبية من المسلمين الذين رفضوا التعاون مع الصليبيين (□□□).

ويعلق مؤرخ الحروب الصليبية ستيفن رنسيمان على النجاح السريع الذي احرزه الفرنجة بقوله: « **إن السبب الأكبر في نجاح الصليبيين، لم يرجع فحسب إلى كثرة أعدادهم، وإلى ما تلقوه من مساعدات من الغرب المسيحي ومن الدولة البيزنطية، بل يرجع إلى تفرق كلمة المسلمين ونشوب الفتن الداخلية واضطراب الأمن ...**» (□□□).

(122) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، العدد(149)، مايو 1990، الكويت، ص129.

(123) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، مرجع سابق،ص130.

(124) ستيفن رنسيمان، ترجمة السيد الباز العريني: تاريخ الحروب الصليبية، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1981، ص7.

لم يختلف إثنان ، لا من الفرنجة ولا من المسلمين ، في استفظاع المنكرات التي اقترفها الصليبيون، تلك المنكرات التي أقل ما قيل فيها إنه يندى لها جبين الدهر، وإنها مناقضة التعاليم السيد المسيح الذي زعموا أنهم إنما جاءوا لنصرته ..» [125] وتأكيداً على فظاعة ما ارتكبوه الفرنجة من مجازر وحشية، فإن « غوستاف لوبون »، يقول: « لقد أفرط قومنا من سفك الدماء...وكانت الجثث تسبح في محيط من الدماء، ولم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بضروب التعسف والتدمير والتنكيل التي اتبعوها، بل عقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كانوا عددهم (60) ألفا، فأفنوهم عن آخرهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا امرأة ولا طفلا ولا شيخا »[126].

وفي هذا السياق، يصف « wells » تلك المجازر، بقوله: « حدثت ببيت المقدس مذبحة رهيبة، وكان دم المقهورين يجري في الشوارع، حتى كان الفرسان يصيبهم رشاش الدم وهم راكبون »[127] .

ولم يختلف « ابن خلدون » في وصفه للمجازر التي ارتكبها الفرنجة عما أورده كل من « لوبون » و « wells »، إذ، يقول: «استباح الفرنجة بيت المقدس، وأقاموا في المدينة أسبوعاً ينهبون ويدمرون، وأحصى القتلة بالمساجد فقط من الأئمة والعلماء والعبّاد والزهّاد والمجاورين، فكانوا سبعين ألفاً أو يزيدون »[128].

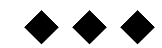
(125) عارف باشا العارف: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص73.

(126) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1990، ص735.

(127) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص736.

(128) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص736.

لم يقف الفرنجة عند حدود الدفاع عما احتلوه، بل راحوا يوسعون عدوانهم الاحتلالي، فوصلوا حوران والجولان، واحتلوا أيلة (العقبة)، كما استولوا على الكرك، وبذلك، تمكنوا من فرض سيطرتهم على تقاطع الطرق الاستراتيجي يين سورية وكل من مصر. والجزيرة العربية، ولم يكتف الغزاة بذلك، بل سعى ملوك بيت المقدس اللاتينية إلى إبقاء الغرب الأوروبي في حالة تحريض وتجييش، فتوالت على المشرق العربي - بعد الحملة الأولى – ست حملات عدوانية، تستهدف تثبيت المملكة اللاتينية في بيت المقدس التي اصطنعها الغرب الاستعماري تحقيقاً لأطماعه في السيطرة على الوطن العربي.



القدس في عصر الأيوبيين

دام حكم الفرنجة للقدس ما يقارب الثماني والثمانين سنة، وقد ساعدهم على ذلك حالة التشرذم التي كان يعيشها الوطن العربي والاقتتال بين حكامه، ولكن صلاح الدين الأيوبي وضع حداً لتلك الحالة، فحقق وحدة بلاد الشام ووحدها مع مصر فأقام دولة عربية موحدة وقوية، فبدأ حروبه التحريرية، واستفتحها بانتصاره على زهرة جيوش الفرنجة في معركة حطين (4 تموز/ يوليو1187م) ، فلقد فقدت مملكة بيت المقدس اللاتينية قواتها الرئيسية في هذه المعركة[129].

لم تكن حطين بالنسبة إلى الصليبيين كارثة حربية فقط، ولكنها كانت أيضاً المعركة الحاسمة ضد أكبر حركة استعمارية شهده العالم قبل العصور الحديثة[130]، فقد تم تدمير أكبر جيش صليبي أمكن جمعه منذ قيام الكيان الصليبي.

إن الأهمية التاريخية لمعركة حطين، تكمن في أنها حسمت الموقف بين المسلمين والفرنجة، فأثبتت حق الأولين نهائياً في أرضهم، وأنهت بالمقابل أحلام التوطين والتأقلم مع الشرق لدى الآخرين، وأفهمت فرنج الغرب والشرق – ولو جاء ذلك متأخراً – إن الدولة المصطنعة التي زرعت في أرض ليست أرضها، والتي تعيش على استقدام السكان وتلقي الدعم المادي من مال وعتاد وسلاح، لا يكتب لها الاستمرار والديمومة، ولا بد أن تسقط في اللحظة التي ينقطع فيها هذا الدعم[131].

إن هزيمة الفرنجة في حطين، جعلت صلاح الدين الأيوبي يتعجل تحرير القدس، وتمكن من ذلك في (2 تشرين الأول/ أكتوبر 1187م)، فدخلها محرراً، وأُقيمت فيها خطبة الجمعة بعد أن ظلت ممنوعة طويلاً.

(129) قاسم عبد قاسم: ماهية الحروب الصليبية، مرجع سابق، 143.

(130) شاكر مصطفى: فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي، مرجع سابق، ص409.

(131) شاكر مصطفى: فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي، مرجع سابق، ص409.

إن سماحة الإسلام، وقيمه الأخلاقية والحربية، حالت دون تقتيل الفرنجة المهزومين وأسراهم، رغم ما ارتكبوه من مذابح وحشية إبان احتلالهم القدس سنة 1099م، بل إن الناصر صلاح الدين سمح لهم بالخروج من القدس محملين بأموالهم وأمتعتهم، «وبقي في المدينة جانب كبير من المسيحيين الوطنيين (الأرثوذكس) الذين كانوا يجاهرون بأنهم يفضلون حكم المسلمين على حكم الفرنج »[132]، ويؤيد المؤرخ « رنيسمان » سماحة الإسلام بقوله: «الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، فبينما كان الفرنج منذ ثمان وثمانين سنة يخوضون دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة بناء على أوامر صلاح الدين يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين »[133]، وقد شهدت القدس في عهد صلاح الدين رخاء وتطوراً، فأقيمت فيها المدارس والمعاهد والأربطة والمستشفيات، كما انتعشت الحركة التجارية.

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي(4 آذار/ مارس 1193م)، تنازع أبناؤه على الحكم، ونتيجة ذلك، تفتت دولة الوحدة إلى ثلاث دويلات متناحرة، أدرك الكامل(أخو صلاح الدين) أن ما آلت إليه الأمور، يحول دون استكمال تحرير بقية الأرض العربية من المحتلين الفرنجة، فسارع إلى فرض سيطرته على البيت الأيوبي، فاستعاد وحدة البلاد، إلا أنه من المثير للدهشة أن الملك الكامل الأيوبي عقد مع الإمبراطور فردريك الثاني في سنة 1229م هدنة مدتها عشر سنوات، تنازل فيها عن القدس على أن يبقى في حوزة المسلمين الحرم القدسي بما فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وفي سنة 1239 مات الملك الكامل ، وفي السنة نفسها استعاد المسلمون القدس، إلا أن الملك الناصر داود ابن الملك المعظّم عيسى (ابن أخي الكامل) يرتكب نفس الخطيئة التي ارتكبها الكامل، ففي سنة 1243م سلم القدس للصليبيين، فاستعادها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 1244م، وكانت تلك الاستعادة الأخيرة للقدس من أيدي الصليبيين(الفرنجة)، وبذلك يصبح مجموع السنين التي بقيت القدس تحت الاحتلال الصليبي نحو تسع وتسعين سنة.

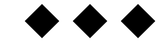


(132) شاكر مصطفى: فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي، مرجع سابق، ص410.

(133) ستيفن رنسيمان، ترجمة السيد الباز العريني: تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سابق، ص652.

القدس في عصر المماليك

توفي السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين في سنة 1249م، فتولى الحكم ابنه توران شاه الذي قُتل على يد المماليك في سنة 1250م، مما أدى إلى قيام دولة المماليك في مصر والشام، ويعود إليهم الفضل في متابعة تحرير بقية البلاد من الاحتلال الفرنجي، فكان تحرير عكا في سنة 1291م آخر معقل للفرنجة، وفي عصر المماليك حظيت المدينة باهتمام ملحوظ وقام سلاطينهم[134]: الظاهر بيبرس (ت676 للهجرة/ 1277م) وسيف الدين قلاوون (حكم من 679- 689 للهجرة/ 1280- 1290 م) والناصر محمد بن قلاوون (ت 741 للهجرة/ 1340م) والأشرف قايتباي (حكم من 893- 902 للهجرة/ 1486- 1496 م)، وجميعهم التفتوا إلى رعاية القدس، فأقاموا فيها المدارس والأربطة والزوايا، فغدت مركزاً علمياً مرموقاً يفوق المراكز العلمية في العالم الإسلامي.



(134) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث (ص- ك)، مرجع سابق، ص 512/ 523.

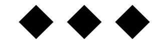
القدس في عهد العثمانيين

في أواخر أيام الدولة المملوكية التي كانت تحتضر، تدهورت علاقاتها مع الدولة العثمانية، فنشبت الحروب بينهما، فتمكن السلطان العثماني سليم الأول من هزيمة المماليك في معركة مرج دابق (شمالي حلب) سنة 1516م، وفي سنة 1517م، احتل العثمانيون مصر وفلسطين، وبذلك زالت دولة المماليك.

وبدخول البلاد العربية التي كانت تابعة للسلطنة المملوكية في حوزة السلطنة العثمانية، استعادت هذه البلاد وحدتها التي فقدتها « عقب الغزو المغولي للخلافة العباسية في بغداد عام (656ه / 1258م) »[135]، وبذلك أصبحت الدولة العثمانية « حامية وراعية للأماكن المقدسة في الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وفي الشام ببيت المقدس »[136].

حظيت القدس في العهد العثماني التكريم الذي تستحقه، وتجلى ذلك في عهد السلطان سليمان القانوني، الذي قام بتعلية سور القدس وترميمه، كما أقام كثيراً من المنشآت المعمارية كالمساجد والمدارس والتكايا والسبل، وتعمير جدران الحرم وأبوابه وكذلك قبة الصخرة المشرفة.

وفي عهد محمد علي (1805-1849م) والي مصر، تمكن ابنه إبراهيم باشا عام 1831م من دخول القدس، وبهذا تبعت القدس القاهرة وفق معاهدة كوتاهية عام1831م[137]، إلا أن المصريين انسحبوا من القدس عام 1841 بموجب مقررات مؤتمر لندن الذي أجبر محمد علي على الإنسحاب من بلاد الشام، فعادت القدس إلى الحكم العثماني المباشر، وبقيت في أيديهم حتى عام 1917م، حيث خسر العثمانيون الحرب، فوقعت القدس تحت الاحتلال الإنجليزي.



(135) خيرية قاسمية: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، مجلة الحياة الفكرية، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، العدد(1)، مرجع سابق، ص49.

(136) خيرية قاسمية: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، مرجع سابق، ص29.

(137) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، مرجع سابقن ص49.

الفصل الرابع
القدس تحت الاحتلالين الإنجليزي والإسرائيلي

القدس تحت الإحتلال الإنجليزي

في أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، لعبت بريطانيا دوراً قذراً، استهدف خداع العرب والتآمر على مصالحهم الوطنية، فالمحادثات التي أجرتها مع الشريف حسين المعروفة باسم (مكماهون-حسين)، كانت قد وعدت العرب بمنحهم الاستقلال مقابل مساندتهم لبريطانيا في حربها مع الدولة العثمانية، وبانتهاء الحرب تملصت بريطانيا من وعودها، بل تآمرت سراً مع فرنسا على اقتسام بلاد الشام والعراق بموجب اتفاق (سايكس- بيكو/ 1916م)، ولم تقف بريطانيا عند هذا الحد، بل أصدرت في (2 تشرين الثاني/ نوفمبر1917م) « وعد بلفور »، الذي تتعهد بموجبه العمل على إقامة « وطن قومي » لليهود في فلسطين، ولم يجد المؤرخ الكبير أرنولد توينبي مناصاً من إدانة بلاده على تقديم «وعد بلفور للحركة الصهيونية، معلناً أنه كإنكليزي يشعر بالخجل والندم الشديدين على ازدواجية المعايير الأخلاقية التي حكمت سلوك حكومة بلاده في الإقدام على هذه الفعلة المنكرة »(□□□) .

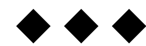
وتنفيذاً لوعد بلفور، أقر مؤتمر سان ريمو في (24/ نيسان/ أبريل1920م) انتداب بريطانيا على العراق وفلسطين، وانتداب فرنسا على سورية ولبنان، وبموجب ذلك، سعت بريطانيا إلى وضع «وعد بلفور» موضع التنفيذ، فبادرت إلى اتخاذ الاجراءات التي تكفل استقدام اليهود الغرباء – الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة – إلى فلسطين لتعزيز الاستيطان الصهيوني فيها، والعمل على توفير الدعم اللازم لهذا الاستيطان الذي تحولت مؤسساته إلى حكومة ظل(عسكرية ومدنية) تستهدف احتلال البلاد.

أدرك الفلسطينيون الخطر الذي يتهددهم، فلجأوا إلى توظيف كل أشكال المقاومة تعبيراً عن رفضهم الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي والسياسة البريطانية الساعية لتطبيق «وعد بلفور»، فكانت القدس المركز الذي يوجه النشاط الوطني الفلسطيني، فشهدت فلسطين ثورات عديدة، من أبرزها: ثورة 1920، وثورة 1925، وثورة 1929، والاضراب الشهير الذي استمر ستة أشهر والذي بدأ في (25 نيسان/ أبريل 1936) (□□□).

(138) إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1996، ص341.

(139) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2001، ص52.

لم تألُ بريطانيا جهداً في سعيها الحثيث لتمكين الحركة الصهيونية من إقامة الكيان الصهيوني، فسارعت إلى نقل القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة، وبضغط من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، أصدرت الأمم المتحدة في (29 تشرين الثاني/ نوفمبر/ 1947) قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين: دولة يهودية تشمل 56,47٪ من مجموع أراضي فلسطين، على حين تشمل الدولة العربية 42,88٪ من تلك الأراضي، أما مدينة القدس وضواحيها فتشمل ما يساوي 0,65٪(□□□)، وتخضع لنظام دولي خاص تحت مسمى كيان القدس السياسي المنفصل Corpus Separatum (□□□)- وذلك كما ورد في قرار التقسيم رقم 181- يديره مجلس وصاية نيابة عن الأمم المتحدة باعتبار أن ذلك هو الحل الأمثل للحفاظ على الأماكن المقدسة .



(140) صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1970، ص298.

(141) محمد اشتيه وأخرون: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، البيرة، فلسطين، 2008.

القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي

وبصدور قرار التقسيم الذي اتخذ رغماً عن إرادة الشعب الفلسطيني، رأت بريطانيا أن الفرصة أصبحت سانحة أمام الحركة الصهيونية لتنفيذ مخططها، فأعلنت عن عزمها على الانسحاب من فلسطين في (15أيار/ مايو1948)، فسارعت الحركة الصهيونية إلى الإعلان عن قيام «إسرائيل في (14أيار/ مايو1948)» ، فكانت «إسرائيل» وما زالت ولادة استعمارية غير شرعية حاضنتها بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية والغرب الاستعماري، وبذلك أصبحت «إسرائيل» تسيطر على 77,44٪ من فلسطين (بما فيها القدس الغربية والتي تشكل 66,2٪ من مجموع مساحة القدس) [142]عوضاً عن 56,47٪ ما كان مخصص لها بموجب قرار التقسيم[143].

وبقي خارج الاحتلال الصهيوني: قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية. ورغم أن الجمعية العامة للأمم المتحدة رفضت سياسة الأمر الواقع التي تنتهجها إسرائيل في القدس، وتصرّ على وضع القدس تحت نظام دولي دائم كما جاء في قرار التقسيم، إلا أن إسرائيل رفضت كل القرارات الصادرة عن الجمعية العامة المتصلة بالقدس، وإمعاناً منها في تجاهل قرارات المنظمة الدولية، فقد وافقت الكنيست الإسرائيلية في 23/ 1/ 1950 م على إعلان القدس عاصمة لإسرائيل، وقالت إنها عاصمة منذ اليوم الأول لإعلان قيام إسرائيل، ونقلت كل الوزارات إليها.

لم يكتفِ الكيان الصهيوني بما احتله، فسعى باستمرار لاغتصاب ما تبقى من القدس وفلسطين، فواتتهم الفرصة في حرب 1967 التي نتج عنها احتلال ما تبقى من فلسطين (قطاع غزة والضفة الغربية بما فيها القدس)، وهكذا أصبحت فلسطين كلها محتلة.



(142) الموسوعة الفلسطينية: القضية الفلسطينية، المجلد السادس، بيروت، 1990، ط1، ص522.

(143) أحمد طربين: قضية فلسطين، ج2، ط1، 1968، ص.

تهويد القدس وموقف الأمم المتحدة

وفي عشية احتلال إسرائيل ، صرّح حاخام الجيش الإسرائيلي: «إن حلم الأجيال قد تحقق فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهي عاصمتهم الأبدية...». أما وزير الدفاع الإسرائيلي **موشيه دايان** أعلن أمام حائط المبكى : « لقد أعدنا توحيد المدينة المقدسة وعدنا إلى أكثر أماكننا قدسية، عدنا ولن نبارحها أبداً »[144].

وتحقيقاً لتلك المقولات، وبعد احتلال القدس بأيام، عقدت الحكومة الإسرائيلية عدة اجتماعات لبحث ضم القدس الشرقية إلى إسرائيل، وبتاريخ 27/ 6/ 1967 تقدمت الحكومة الإسرائيلية بمشروع قرار لضم القدس إلى إسرائيل ولقد وافقت الكنيست في اليوم نفسه على قرار الضم، وجرى إلحاق القدس العربية بإسرائيل سياسياً وإدارياً.

وفي اليوم التالي أصدرت الحكومة الإسرائيلية ما سمي أمر القانون والنظام (رقم 1 لسنة 1967) [145].

سارعت الجمعية العامة إلى عقد الدورة الطارئة في الفترة من (4- 21/ 7/ 1967) للنظر في أزمة الشرق الأوسط الناشئة عن عدوان حزيران 1967، ونالت القدس النصيب الأوفر في مداولات الجمعية العامة. وفي 4/ 7/ 1967 صوتت الجمعية العامة على القرار رقم (2253) [146] أعربت فيه عن قلقها الشديد لـ لإجراءات التي اتخذتها إسرائيل في القدس، واعتبرتها لاغية، كما عادت الجمعية العامة وأكدت على قرارها السابق بقرار ثان رقمه 2254، ومما جاء فيه[147]:

---

(144) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، مرجع سابق، 290.

(145) الموسوعة الفلسطينية: القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص522.

(146) الموسوعة الفلسطينية: القدس في الأمم المتحدة، القسم العام، المجلد الثالث، (ص- ك)، دمشق، 1984، ط1، ص550.

(147) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص551.

1- إن الجمعية العامة، وقد أثارت قلقها العميق الحالة السائدة في القدس للتدابير التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة، تعتبر هذه التدابير باطلة.

2- تدعو إسرائيل إلى إلغاء جميع التدابير التي أُتخذت فعلاً والعدول فوراً عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس.

إلا أن إسرائيل لم تعر قرارات الأمم المتحدة أي اهتمام، فاستمرت في اتخاذ المزيد من الإجراءات الرامية إلى تهويد القدس، فاستقدمت آلاف المهاجرين اليهود إلى القدس، وقامت باستملاك الأراضي والبيوت العربية بالقوة، وتمليكها إلى اليهود، واستصدرت القوانين التي تضيّق الخناق على العرب لتجبرهم على مغادرة بيوتهم وأملاكهم في القدس.

ففي 21/ 5/ 1968 انعقد مجلس الأمن للنظر في الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل في القدس والمنافية للقرارات الصادرة عن الجمعية العامة، فأبدى مجلس الأمن أسفه « لعدم امتثال إسرائيل لهذه القرارات» ، واعتبر أن « كل الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التي قامت بها إسرائيل، بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس، إجراءات باطلة» ، و« يدعو إسرائيل بشدة إلى أن تلغي هذه الإجراءات، وأن تمتنع فوراً عن القيام بأي عمل آخر من شأنه أن يغير وضع القدس »(□□□).

لم تلتفت إسرائيل إلى قرارات الأمم المتحدة، بل إنها أمعنت في تقزيم دور الأمم المتحدة ومجلس أمنها، فأعلنت في 30/ 7/ 1980 ضم القدس المحتلة إليها نهائياً واعتبار القدس بشطريها عاصمة موحدة لإسرائيل ومقراً لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا.

(148) الموسوعة الفلسطينية: القدس في الأمم المتحدة، مرجع سابق، ص551.

ورداً على ما قامت به إسرائيل بضم القدس واستصدارها القانون الأساسي بشأن القدس، بادر مجلس الأمن إلى إصدار القرار رقم(478) بتاريخ 20/ آب/ 1980، والذي أكد على عدم الاعتراف بالقانون الأساسي، ومطالبة الدول سحب بعثاتها الدبلوماسية من القدس[149]، ومما جاء في هذا القرار[150]:

*** إن مجلس الأمن:**

1- يستنكر بأشد العبارات إقرار إسرائيل للقانون الأساسي بشأن القدس ورفضها الإلتزام بقرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

2- يؤكد أن إقرار إسرائيل للقانون الأساسي يشكّل إنتهاكاً للقانون الدولي ولا يؤثر في الإنطباق المستمر لاتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة في 12/ 8/ 1949.

3- يصمّم على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والأعمال التي قامت بها إسرائيل، السلطة المحتلة، والتي غيّرت أو تهدف إلى تغيير طابع المدينة المقدسة ووضعها القانوني، وخاصة القانون الأساسي الأخير بشأن القدس، باطلة ولاغية ويجب أن تلغى.

4- يؤكد أيضاً أن هذا العمل يشكل عائقاً خطيراً لتحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط.

5- يقرر ألاّ يعترف بالقانون الأساسي وبأعمال إسرائيل الأخرى الناجمة عن هذا القانون التي تهدف إلى تغيير طابع مدينة القدس ووضعها القانوني.

(149) شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص295.

(150) الموسوعة الفلسطينية: القدس في الأمم المتحدة، مرجع سابق، ص552.

إن جميع القرارات التي صدرت عن الأمم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية وبخاصة القدس، تجاهلتها إسرائيل، بل أمعنت في ازدرائها، وبالتالي، إن فشل الأمم المتحدة في اجبار إسرائيل على تطبيق القرارات الدولية يُفقدها مصداقيتها أمام معظم دول العالم وشعوبها.ولم يعد خافياً على أحد سواء في أروقة السياسة الدولية، أو حتى على مستوى الرأي العام العالمي أن استهزاء إسرائيل بالأمم المتحدة وقراراتها، سببه إنحياز الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب إسرائيل باستخدامها حق «الفيتو»، أي نقض القرارات الصادرة عن مجلس الأمن والتي تدين إسرائيل، مما جعل مجلس الأمن يفقد هيبته أمام الشعوب المتطلعة إلى نيل حريتها وحقوقها المشروعة التي أقرتها الشرعية الدولية، والتي من أجلها قامت الأمم المتحدة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن استمرار انحياز الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل، يشجعها على المزيد من إزدراء القرارات الدولية، وعلى التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني التي كفلتها الشرعية الدولية، كما يشجعها على استمرار عدوانها على الشعب الفلسطيني والشعوب العربية، مما يهدد السلم العالمي الذي من أجل صونه أُنشئت الأمم المتحدة.

إن فشل الأمم المتحدة في إجبار إسرائيل على تنفيذ قراراتها المتصلة بالقضية الفلسطينية وبخاصة القدس، شجعها على الاستمرار في تنفيذ مخططها الرامي لاستكمال تهويد القدس، وذلك من خلال ما يأتي:

- حل مجلس أمانة القدس العربية وإلحاقه ببلدية القدس المحتلة منذ عام 1948.

- اللجوء إلى تهويد القضاء، بتطبيق القوانين الإسرائيلية الجزائية والمدنية والضريبية على مواطني القدس العربية واخضاعهم للقضاء الإسرائيلي.

- تهويد كافة مرافق الخدمات العامة بالغاء الإدارات العربية.
- نقل معظم الوزارات والدوائر الرسمية اليهودية إلى القدس العربية.
- إلغاء مناهج التعليم العربية بهدف تهويد التعليم والثقافة.
- إطلاق الأسماء اليهودية على الشوارع والساحات العربية.
- إخضاع المرافق الاقتصادية والتجارية العربية لأنظمة الضرائب الإسرائيلية.
- مصادرة أراضي الوقف الإسلامي وغيرها من أراضي الفلسطينيين، فقد استولت وصادرت « ما مجموعه 90٪ من أراضي شرقي القدس المقيّدة تحت تصرف السلطات المحتلة، ومن ثم لم يبق تحت تصرف الفلسطينيين في القدس إلا 10٪ من أراضيهم» (□□□). وهدم المنازل التابعة لأصحابها العرب وتهجيرهم .
- عملت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على « تجميد سياسة البناء الجديد للعرب الفلسطينيين وعدم السماح لهم بالتوسع الأفقي والرأسي في البناء، وكذلك هدم الأبنية بحجة عدم الترخيص حيث تم هدم نحو (550) منزلاً حتى الآن منذ احتلال القدس عام 1967»(□□□)، مما تجبر أصحاب تلك المنازل البحث عن منازل لهم خارج مدينة القدس.
- تشجيع الاستيطان اليهودي في القدس العربية عن طريق هدم المنازل في البلدة القديمة وإقامة الأحياء السكنية اليهودية بديلاً عنها، وتحويلها إلى بؤر استيطانية يهودية، وقد بلغ عددها نحو (75) بؤرة استيطانية، أُنشئت فيها الكنس والمعاهد اليهودية(□□□).
- تسير إسرائيل قُدماً في تنفيذ مخططها الرامي إلى إقامة القدس الكبرى في العام (2010)، والعمل على استقدام اليهود في مناطق متفرقة من العالم، وإسكانهم في القدس، بحيث يصبح عددهم ما لا يقل عن مليون يهودي(□□□).



(151) أحمد يوسف أبوحلبية:: فضائل القدس والمسجد الأقصى والمؤامرة عليها ، 29/ تشرين الأول/ 2008، www.alqudus-online.org.

(152) أحمد يوسف أبو حلبية: فضائل القدس والمسجد الأقصى والمؤامرة عليها، 29/ تشرين الأول/ 2008، مرجع سابق.

(153) أحمد يوسف أبو حلبية:: فضائل القدس والمسجد الأقصى والمؤامرة عليها، 29/ تشرين الأول/ 2008، مرجع سابق.

(154) أحمد يوسف أبو حلبية:: فضائل القدس والمسجد الأقصى والمؤامرة عليها، 29/ تشرين الأول/ 2008، مرجع سابق.

الحفريات الأثرية الإسرائيلية في القدس

لم تكتف إسرائيل بما قامت به من إجراءات تهويدية، بل راحت تعمل على تشويه الطابع الحضاري للتراثين الإسلامي والمسيحي، بسعيها الدؤوب لتدمير الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية للقضاء على ما تمثله هذه الأماكن من ارتباط تاريخي وعقدي بالمدينة المقدسة.

فراحت تعمل على محو الطابع العربي الإسلامي لمدينة القدس لتغييب هويتها وانتمائها العربي الإسلامي، فكثفت جهودها في مجال التنقيبات الأثرية تحت المسجد الأقصى. بحثاً عن الهيكل المزعزم الذي ورد ذكره في التوراة المزعومة، ولكنهم فشلوا في العثور عليه، وتأكيداً على ذلك، فإن زائيف هيرتزوغ الأستاذ في جامعة تل أبيب، يقول[155]: « إن الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن العشرين قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة، كل شيء مختلق ونحن لم نعثر على شيء يتفق والرواية التوراتية ».

إن تلك الحفريات التي شهدتها القدس لم تبدأ مع قيام الكيان الصهيوني، وإنما بدأت على يد بعثات استشراقية أوروبية وأمريكية منذ متصف القرن التاسع عشر. بهدف العثور على ما يتفق والرواية التوراتية المزعومة بوجود الهيكل المزعوم تحت المسجد الأقصى المبارك، ولما فشلت جميع تلك الحفريات بالعثور ولو على دليل أثري واحد يثبت صحة الرواية التوراتية، وبشهادة من قاموا بتنفيذها، فإن إسرائيل، وبعد احتلالها القدس سنة 1967 م، استأنفت الحفريات تحت المسجد الأقصى المبارك، علّها تنجح فيما فشلت فيه البعثات الاستكشافية الأثرية الأوربية والأمريكية، وما زالت إسرائيل مستمرة بالحفريات حتى الآن، ومن الحفريات الأثرية التي أنجزت[156]:

(155) فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، منشورات علاء الدين، دمشق 2001، ط1، ص14.

(156) رائف يوسف: الحفريات الأثرية في القدس، ورقة مقدمة لندوة القدس، (5000 عام)، تموز، 1997، www.alqudusonline.com.

- حفريات جنوبي المسجد الأقصى- المبارك، وقد بوشر بها في أواخر سنة 1967م، ووصل عمقها إلى 14 متراً، ويتمثل خطرها في تصدع الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك، وإن ما تمّ اكتشافه، كان آثاراً إسلامية أموية.

- حفريات جنوب غرب الأقصى المبارك، فقد تمت هذه الحفريات سنة 1969م، فأدت إلى تصدع الأبنية الإسلامية التابعة للزاوية الفخرية، التي تمّ هدمها جميعاً، وقد أسفرت هده الحفريات عن اكتشاف آثار أموية.

- حفريات جنوب شرق الأقصى- المبارك، وقد بُوشر بها في سنة 1973، وصلت إلى أسفل الأروقة السفلية للمسجد الأقصى المبارك وبعمق 13 متراً، مما يتهدد جدار المسجد الأقصى المبارك الجنوبي بالتصدع والانهيار.

- هدم حارة المغاربة، لجأت السلطات الإسرائيلية إلى هدم حيّ المغاربة (بتاريخ 11/ 6/ 1967) الملاصق للمسجد الأقصى من الجهة الجنوبية الغربية، وقد كان في هذا الحي مسجدان و 135 منزلاً.

- حفريات النفق الغربي، بوشر بها سنة 1970، ووصلت إلى عمق يتراوح ما بين (11- 14) متراً تحت منسوب الأرض وبطول 450 متراً، وقد أقام الإسرائيليون داخل النفق كنيساً يهودياً.

كما حصدت البعثات الآثارية الأوروبية والأمريكية خيبة الأمل في العثور ولو على دليل أثري واحد يثبت وجود الهيكل المزعوم تحت المسجد الأقصى المبارك، فقد حصدت إسرائيل خيبة الأمل ذاتها، ولما أدركت إسرائيل ذلك، فقد أصبح هدفها الحقيقي من وراء هذه الحفريات، هو محو الهوية العربية الإسلامية والمسيحية للمعالم الدينية والتاريخية في البلدة القديمة من القدس، وطرد سكانها العرب منها وتهويدها بالكامل.

إن القدس كما حافظت على هويتها العربية الإسلامية رغم ما تعاقب عليها من غزاة، فإنها ستظل وفيّة لإنتمائها العربي الإسلامي، وسيفشل الكيان الصهيوني المصطنع في محو طابعها العربي الإسلامي، فها هي تتحدى بإباء وشمم الاحتلال الصهيوني وتعلن للعالم أجمع أنها عاصمة للثقافة العربية للعام 2009 م، وأنها تستمد قدرتها على الصمود والتحدي من قدسية المكان، ومما تحتضنه في أحشائها من آثار ورموز عربية وإسلامية ومسيحية.



الفصل الخامس
المباني التراثية الإسلامية والمسيحية في القدس

المباني التراثية الإسلامية في القدس

تُعد القدس واحدة من المدن الإسلامية الغنية بتراثها، وبخاصة المعماري منه، بل تفوقها جميعاً بما خصّها الله بقدسية المكان، فقد كانت أولى القبلتين، وبها ثالث الحرمين الشريفين، وإليها كان إسراء الرسول ﷺ، ومنها كان معراجه إلى السماء، وفي أكنافها وُلد المسيح عليه السلام، ومنها انتشر الدين المسيحي.

فقد روى أبو عبد الله المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، أنه فضَّل القدس على مدن الدنيا في مجلس عُقد في العراق، فاستهول الناس قوله، ولكنه علّل حكمه بقوله: «... وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ومنها المحشر، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي، ويوم القيامة يُزفان إليها، فتحوي الفضل كله.. فاستحسنوا ذلك وأقرّوه »[157].

لهذه الأسباب وغيرها، نالت القدس عبر تاريخها الطويل ما تستحقه من اهتمام ممن تعاقبوا على حكمها، وبخاصة الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والولاة، فشُيدت فيها المباني العامة الفخمة والجميلة والمحلاة بكافة أنواع النقوش والزخارف والكتابات، وبخاصة دور العبادة منها، كالجوامع والكنائس وغيرها من الخانات والتكايا والأسبلة والأربطة والمدارس، وجميعها تعبر عن جمالية وروعة الفن المعماري الموصول بفكرٍ إنساني راقٍ، تجاوز المكان، فأفسح المجال لتنوع مشارب التراث في القدس، فالقدس بتراثها المتنوع جعلت مسلميها ومسيحييها يعيشون في لحمة واحدة لا تنفك عُراها، لأنهم نتاج حضارة عربية إسلامية إنسانية، أبدعت ما تحتضنه القدس من تراث.

(157) اسحق موسى الحسيني: مدينة القدس، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية، (بيروت)، ط1، 1990، ص76.

الحرم القدسي الشريف(المسجد الأقصى)

يكاد كل موضع في القدس يقوم عليه مَعْلَمٌ أثريٌ يروي حكايته مع قدسية المكان، ومن أنفس هذه المباني وأكثر جمالاً وقدسية: الحرم القدسي الشريف، ثاني المساجد في الإسلام، وثالث المساجد التي تختص برتبة القداسة والفضل على سواها، والتي تُشد الرحال إليها، فقد روى المحدِّث المعروف ابن شهاب الزهري عن النبي ﷺ، إذ قال: « **لا تُشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس** »[158].

والحرم القدسي الشريف يحتضن في أرجائه روائع العمارة الإسلامية، وتبلغ مساحته خُمس مساحة مدينة القدس العربية، وهو نفسه الذي يطلق عليه تسمية المسجد الأقصى- المبارك الذي ورد ذكره في القرآن الكريم.

« ويوضع في الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس، ويأخذ شكل شبه منحرف، يبلغ طول جداره الجنوبي 281 متراً، وطول جداره الشرقي 462 متراً، وطول جداره الشمالي 310 متراً، وطول جداره الغربي 491 متراً، ويضم مختلف المنشآت الأثرية الإسلامية كقبة الصخرة والمسجد الأقصى المسقوف وقبة السلسلة والمصلى المرواني والأقصى- القديم والقباب والمحاريب والسبل والمساطب والآبار والبرك والأروقة والقناطر وغيرها من المنشآت الأخرى »[159].

(158) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث(ص– ك)، ط1، دمشق، 1984، ص533.

(159) محمد هاشم غوشة: المسجد الأقصى- المبارك، دارة القدس للبحوث والتوثيق والإعلام، القدس، كانون الثاني، 2009، ص16.

وكذلك، فإن الساحات الترابية المزروعة بالزيتون والأشجار الحرجية هي جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك.

ووفق ما تقدم، فإن « الصخرة المشرفة هي جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، والمسجد المبني في صدر ساحة المسجد الأقصى من جهة القبلة وهو جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، وليس هو الأقصى المبارك فقط كما يتوهم غالب المسلمين ... والمبنى الواقع تحت هذا المسجد والذي نصطلح عليه باسم « الأقصى القديم » وهو جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، والمصلى المرواني الواقع تحت الجهة الجنوبية الشرقية للأقصى المبارك وهو جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك»[160].

ومن أجمل هذه المباني التي يحتضنها الحرم القدسي الشريف وأكثرها قدسية:

مسجد قبة الصخرة المشرفة:

تُعد قبة الصخرة المشرفة من أقدم الآثار الإسلامية وأنفسها واكثرها جمالاً ورونقاً على الإطلاق، « وفق ما أجمع عليه علماء عمارة وأثريون وفنّانون ومستشرقون ومؤرخون عديدون »[161].

بنى الخليفة الأموي «عبد الملك بن مروان» مسجد قبة الصخرة المشرفة ما بين (685-691 م)، بناه فوق الصخرة المشرفة التي تقع في وسط المسجد الأقصى، والتي عرج منها النبي محمد ﷺ، وقد « رصد عبد الملك لبنائه خراج مصر لسبع سنين، وقد عهد إلى اثنين من رجاله الإشراف على عملية البناء، هما: رجاء بن حيوه الكندي البيساني، ويُكنى أبا المقدام، وهو من بيسان، ويزيد بن سلام من أهل بيت المقدس ». ولما كان قد تبقى من المبالغ المرصودة مائة ألف دينار، أمر عبد الملك بن مروان بهذه الأموال مكافأة للذّين أشرفا على بناء القبة، رفض مهندسا المشروع أخذ هذه المكافأة النقدية قائلين: « نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك، فأمر بأن تسبك وتفرغ على القبة والأبواب »[162].

---

(160) رائد محمد صلاح: حدود المسجد الأقصى، عن الانترنيت www.alqudusonline.com.

(161) محمد هاشم غوشة: المسجد الأقصى المبارك، مرجع سابق، ص58.

(162) محمد هاشم غوشة: المسجد الأقصى المبارك، مرجع سابق، ص58.

إن بناء قبة الصخرة المشرفة، « يمثل الصورة الصادقة للشخصية العربية المسلمة بكل أبعادها الفلسفية والفنية... كما أنه يُعّد روعة في الجمال، والتناسق، والتناظر، والنسب الهندسية، وهذا ما يشهد به كل من يزوره من علماء الآثار، والتاريخ، والفن المعماري، من العرب والأجانب، فقد قال د.هارتمان Hartman: إن قبة الصخرة نموذج من التناسق والانسجام، كما قال الأستاذ هايتر لويس Hayter Lewis: إن قبة الصخرة هي أجمل الأبنية الموجودة على وجه الأرض، بل إنها أجمل الآثار التي خلدها الإنسان»[163].

أما المؤرخ بوركهارت، فقد قال: « إن إشادة بناء بهذا المستوى من الكمال والاتقان الفني يُعتبر عملاً خارقاً في دولة الإسلام التي لم يكن قد مضى على ظهورها قرن واحد »[164]. وكيف لا تنال الصخرة المشرفة كل هذا الاهتمام! وهي صُرُّة الأرض، ومما ورد من أحاديث عن أنس بن مالك، قال : « إن الجنة تحنُّ شوقاً إلى بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس، وهي صُرَّة الأرض »[165].

المسجد الأقصى المسقوف

رغب الخليفة الأموي «عبد الملك بن مروان» المزيد من تكريم بيت المقدس، فما إن انتهى من بناء قبة الصخرة المشرفة، حتى بادر إلى بناء المسجد الأقصى المسقوف (سنة693 م)، وأتمه ابنه الوليد بن عبد الملك سنة (705م)، ويقع المسجد ذو القبة الفضية المتميّزة في جنوب المسجد الأقصى المبارك، وتبلغ مساحته (4400) متراً مربعاً، وطوله حوالي (80) متراً، وعرضه(55)متراً[166].

(163) رائف يوسف نجم وآخرون: مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ط1، 1983، ص28.

(164) عفيف بهنسي: الأصالة الإسلامية في عمارة القدس وزخارفها: www.alqudusonline.com .

(165) اسحق موسى الحسيني: مدينة القدس، مرجع سابق، ص88.

(166) رائف يوسف نجم وآخرون: مؤسسة آل البيت، مرجع سابق، ص28.

تعرّض المسجد الأقصى المسقوف إلى عدة هزات عنيفة، مما أدى إلى تدميره أكثر من مرّة، ولكنه كان يُعاد بناء ما يتهدم على يد الخلفاء والسلاطين والأمراء والحكام المسلمين في العهود كافة، من أمويين وعباسيين وفاطميين وأيوبيين ومماليك وعثمانيين وغيرهم، فبعد أن حرر صلاح الدين الأيوبي القدس من الاحتلال الفرنجي (الصليبي)، شرع في أعمال ترميم المسجد الأقصى المسقوف وتجديده وزخرفة محرابه، وقد أمر الناصر صلاح الدين كذلك بإحضار المنبر الذي كان قد أمر بصنعه نور الدين زنكي في حلب فنصبه في المسجد الأقصى، إلا أنه احترق أثناء جريمة إحراق المسجد الأقصى في 21م8/ 1969م[□□□].

حائط البراق:

يُعد من الأملاك الإسلامية، ويُعرف باسمه هذا لأن النبي العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ربط براقه ليلة الإسراء والمعراج بجوار هذا الحائط، ويشكل الجزء الجنوبي من جدار الحرم القدسي الشريف، ويبلغ طوله – حائط البراق- حوالي (48) متراً، وارتفاعه حوالي (17) متراً[□□□]، وهو جزء من المسجد الأقصى المبارك، وذكره موصول بإسراء النبي محمد ﷺ، من الكعبة إلى الأقصى، إن ملكية حائط البراق، هي ملكية إسلامية، مكانية، وتاريخية، وعقدية، ورغم أن اليهود لا يملكون أي حق قانوني بهذا الحائط، إلا أن تسامح المسلمين يسّر لليهود زيارته، والبقاء خلفه، ومن هنا أطلق اليهود عليه تسمية (حائط المبكى)، وهي تسمية لا تمت إلى الحقيقة التاريخية والقانونية بصلة.

(167) محمد هاشم غوشة: المسجد الأقصى المبارك، مرجع سابق، 34.

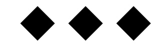
(168) رائف يوسف نجم وآخرون: مؤسسة آل البيت، مرجع سابق، ص31.

استغل اليهود تسامح المسلمين، فادعوا ملكيتهم لحائط البراق، إن هذا الادعاء أدى إلى رفض الفلسطينيين لهذا التزوير التاريخي المتعمد، وساد البلاد اضطرابات تحولت في سنة 1929م إلى ثورة عارمة عُرفت بثورة البُراق، كان من نتائجها سقوط العديد من القتلى والجرحى، وعلى اثر ذلك اضطرت الحكومة البريطانية أن ترسل لجنة للتحقيق، عُرفت باسم لجنة « شو » نسبة إلى رئيسها، ولقد أوصى « شو » في ما أوصى به، بإرسال لجنة دولية خاصة للتحقيق في حقوق العرب واليهود في البراق بالذات.

وفي (15/ أيار/ مايو1930م)، وافق مجلس عصبة الأمم على الأشخاص الذين تم ترشيحهم من قِبَل بريطانيا لعضوية اللجنة، وانتهت اللجنة من وضع تقريرها في (1 كانون الأول/ ديسمبر 1930م)، وحازت استنتاجات اللجنة على موافقة الحكومة البريطانية وموافقة عصبة الأمم، فأصبحت هذه الاستنتاجات وثيقة دولية، وقد أقرت اللجنة الدولية أن حائط البراق تعود ملكيته للمسلمين وحدهم، ومما جاء في تقرير اللجنة، ما يأتي[169]:

(أ) للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف.

(ب) وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير.



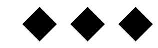
(169) تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام 1930: الحق العربي في حائط المبكى في القدس، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1968، ص(105- 106) .

أسوار القدس الشريف[170]

يحيط بالقدس القديمة عدة أسوار لا سور واحد، فما من أمة دخلت القدس، إلا وأقامت الأسوار حولها، لتصبح أكثر منعة وتحصينا، ذلك لأنها كانت على مرّ العصور، محط أنظار الغزاة والطامعين في هذه المدينة المقدسة.

وإن أول من فكر في حمايتها وصونها، هم اليبوسيون مؤسسو مدينة يبوس (القدس)، ففي حوالي (2500 ق.م)، شرعوا في بناء السور حول مدينتهم، وأقاموا عليه (60) برجاً، ولا صحة للقول بأن السور الأول شيّده داوود أو ابنه سليمان.

والسور القائم إلى يومنا هذا، هو الذي جدده السلطان العثماني سليمان القانوني، ودامت عمارته خمسة أعوام (1536- 1540 م).



(170) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مرجع سابق، ص(170- 173).

أبواب المسجد الأقصى المبارك[171]

تُعد أبواب المسجد الأقصى المبارك جزءاً من قدسية المكان، وتراثاً إسلامياً خالصاً، ومنها يُدلف إلى المسجد الأقصى المبارك، وعددها عشرة أبواب مفتوحة من الشمال والغرب.

*** يوجد ثلاثة منها مفتوحة في الرواق الشمالي هي:**

باب الأسباط:

وهو من الأبواب التاريخية القديمة، وقد أُعيد بناؤه في سنة 1213م، وقد تمّ تجديده أكثر من مرّة، غير أن الباب الحالي يرجع إلى زمن السلطان سليمان القانوني 1538م.

باب حطة:

إنه من الأبواب التاريخية القديمة، وقد جُدد في زمن السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي سنة 1220م.

باب شرف الأنبياء:

يُعرف هذا الباب بأسماء عدة، من أبرزها:

باب الدويدارية نسبة للمدرسة الدويدارية الملاصقة له، وباب الملك فيصل نسبة إلى الملك فيصل بن الحسين والباب العتم.

*** كما أن هناك سبعة أبواب مفتوحة في الرواق الغربي، هي:**

باب الغوانمة:

كان يُعرف قديماً بباب الخليل، ويُعرف بباب الغوانمة لأنه يؤدي إلى حارة الغوانمة أو حارة بني غانم.

---

(171) انظر: محمد هاشم غوشة: المسجد الأقصى المبارك، مرجع سابق، ص(94- 105- عارف باشا العارف: تاريخ القدس ، مرجع سابق، ص302.

باب الناظر:

ومن أسمائه:

باب ميكائيل، وباب علاء الدين البصير نسبة لرباطه القريب منه، وباب الحبس، وباب المجلس نسبة للمجلس الإسلامي.

باب الحديد:

يُعرف هذا الباب بباب أرغون نسبة إلى مجدده، وأرغون هي كلمة فارسية تعني الحرير.

باب القطانين:

يُعد هذا الباب من أجمل أبواب المسجد الأقصى المبارك، وهو من الشواهد الراقية على فن العمارة المملوكية في القدس، كما يُعرف هذا الباب بباب القيسارية.

باب المطهرة:

وهو باب صغير الحجم، ومن أسمائه باب المتوضأ.

باب السلسلة:

يعود هذا الباب إلى العصر الأيوبي.

باب المغاربة:

يُفضي هذا الباب إلى حيث كانت حارة المغاربة التي هدمتها الجرافات الإسرائيلية في سنة 1967 م.

كما أن هناك أربعة أبواب مغلقة، هي[172]، من الغرب: **باب السكينة** (يسمونه باب السحرة)، ومن الشرق: **باب الرحمة، وباب التوبة، وباب البراق** (ويسمونه باب الجنائز).

كانت أبواب المسجد الأقصى الشريف تُغلق عند غروب الشمس، وتفتح عند الفجر، واستمر ذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر، وفي حوالي سنة 1858 م، شرع الناس في بناء المنازل خارج السور، ففتحت الأبواب وراح الناس يغشونها ليلاً ونهاراً[173].



(172) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مرجع سابق، ص302.

(173) عارف باشا العارف: تاريخ القدس ، مرجع سابق، ص173.

المباني التراثية المسيحية في القدس

رأينا فيما تقدم، أن المسيح عليه السلام وُلد في بيت لحم، وبولادته ظهرت الديانة المسيحية التي تولى أتباعه نشرها، وفي سبيل ذلك، لاقت المسيحية ومعتنقوها الممانعة والاضطهاد وبخاصة من اليهود.

فمنذ انطلاق دعوة المسيح عليه السلام، أصبح للنصارى ارتباط وثيق بالقدس، ولكن هذا الارتباط اقتصر طيلة القرون الثلاثة الأولى للميلاد على معان روحية، وبدءاً من القرن الرابع الميلادي، تطور هذا الارتباط الروحي، فأصبح متصلاً بالأبنية العمرانية ذات البعد الديني تقديساً للأماكن التي عاش وتنقل فيها المسيح عليه السلام، « والحقيقة أن الفضل في اسباغ صبغة عمرانية على علاقة القدس بالمسيحيين، يعود إلى أم الإمبراطور قسطنطين » الملكة هيلانة التي عُرفت فيما بعد بالقديسة هيلانة (174).

ففي عام 326 م غادرت هيلانة – أم الإمبراطور البيزنطي قسطنطين – القسطنطينية ومعها الأموال التي زوّدها بها الإمبراطور قسطنطين لإعمار الأماكن المقدسة في القدس، فقامت بنفسها من التحقق من الأماكن التي ارتادها السيد المسيح عليه السلام، فشيّدت الكنائس فوق تلك الأماكن، ومنها المغارة التي عُثر فيها على الصليب المقدس، وفوق القبر المقدس وأيضاً على تل الجلجثة (الذي يعتقد أنه مكان الصلب في غرب القدس) (175).

(174) أحمد الصاوي:المقدسات والآثار المسيحية في القدس، www.alqudusonline.com، 15/ تشرين الثاني/ 2008.

(175) أحمد الصاوي: المقدسات والآثار المسيحية في القدس، مرجع سابق.

ولما غادرت هيلانة القدس تركت أموالاً طائلة لبناء الكنائس في القدس، ولم يتوقف بناء الكنائس في عهد قسطنطين وأمه القديسة هيلانة، بل شهدت القدس على مرّ تاريخها المزيد من تشييد الكنائس والأديرة التي ترمز جميعها إلى الصلة الروحية التي تربط المسيحيين بكافة طوائفهم بالقدس، فغدت القدس أم الكنائس في العالم، لأنها تحتضن الكنائس المنتمية إلى كافة الطوائف الشرقية والغربية.

وأول هذه الكنائس وأقدمها، كنيسة القيامة التي ينسب بناؤها إلى الملكة هيلانة عام 335م(176)، وتُعد أهم الأماكن المقدسة للديانة المسيحية في مدينة القدس. وتقع هذه الكنيسة « داخل أسوار البلدة القديمة في القدس، وقد بُنيت فوق الجلجلة أو الجلجثة وهي مكان الصخرة التي صُلب عليها المسيح واسمه القبر المقدس، سُميت كنيسة القيامة بهذا الاسم نسبة إلى قيامة المسيح من بين الأموات في اليوم الثالث من موته على الصليب، بحسب العقيدة المسيحية»(177).

(176) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث(ص– ك)، مرجع سابق، ص515.

(177) كنيسة القيامة: الوسوعة الحرة ar.wikipedia.org .

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي تمّ تسليم مفاتيح كنيسة القيامة إلى عائلتين مسلمتين، هما: نسيبة وجودة، وما زالت مفاتيحها في أيدي أحفاد هاتين العائلتين إلى اليوم، على أساس أن المفاتيح بيد آل جودة، بينما عملية فتح الأبواب وإغلاقها من واجب آل نسيبة، ويرى البعض أن ذلك قد تمّ بناء على رغبة الروم حيث كان الخلاف على أشدّه بين الروم الأرثوذكس واللاتين (الروم الكاثوليك) أثناء الاحتلال الصليبي وقد تمّ حسم هذا الخلاف بتسليم تلك العائلتين مفاتيح الكنيسة، وقد تمّ ذلك برضى الطائفتين(178) .

ومن الكنائس والأديرة التي تحتضنها القدس(179) : دير أبينا إبراهيم ويقع في ساحة كنيسة القيامة، ويُعتقد أن أول من شيّده الملكة هيلانة عام 335م، ودير مار يوحنا المعمدان، ودير السلطان للأقباط الأرثوذكس وهو من الأديرة القديمة، ويقع بجوار كنيسة القديسة هيلانة، ودير القديس يعقوب (الأرمن)، ويقع هذا الدير في حارة الأرمن على مقربة من قلعة القدس ، وكنيسة المريمات الثلاث، وديرالعذراء، ويقع إلى الجنوب من كنيسة القيامة، ودير مار أنطونيوس، ويقع إلى الشمال من كنيسة القيامة،وكنيسة القديسة حنة التابعة للروم الكاثوليك، وتقع بين باب

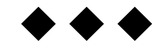
(178) أحمد الصاوي: المقدسات والآثار المسيحية في القدس، مرجع سابق.

(179) أحمد الصاوي: المقدسات والآثار المسيحية في القدس، مرجع سابق.

حطة وباب الأسباط من شمال الحرم القدسي الشريف، ودير الحبش، ويلتصق هذا الدير بكنيسة القيامة فوق مغارة الصليب، وغيرها من الأديرة والكنائس الكثيرة، ولذلك فإن القدس تستحق أن يطلق عليها أم الكنائس في العالم.

وبهذا، فإن القدس العربية الإسلامية، كانت دائماً وفيّة لما احتضنته من مقدسات مسيحية وإسلامية، ووفاؤها مستمدٌ ليس من قدسية المكان وطهارته فقط، وإنما أيضاً من ملاّكها الشرعيين: العرب الفلسطينيين، الذين منحوها إنتماءهم العربي وهويتهم الحضارية العربية، فمنحتهم ملكيتها التاريخية والقانونية، فغدت هذه الملكية «أقدم امتلاك على ظهر الأرض وأشده قوة وإمعاناً » (180) .

فملاّكها العرب، هم الذين عمّروا القدس ومقدساتها، وصانوها وحافظوا عليها، دون أن يتمكن الغزاة في الماضي من النيل منها واقتلاع أصحابها العرب الشرعيين (من مسيحيين ومسلمين)، ولن يتمكن غزاة العصر منها ومن ملاّكها العرب، وستظل القدس عربية الإنتماء والهوية، حتى لو هُدمت للمرة االثامنة عشرة، فإن ملاّكها سيبنوها للمرة التاسعة عشرة، كما بنوها سابقاً.



(180) ج.ن.جفريز، ترجمة أحمد خليل الحاج: فلسطين إليكم الحقيقة، الجزء الأول، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2000، ص56.

المراجع والمصادر

1 – أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط5، 1981 .

2 – اسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس، م.ت.ف.مركز الأبحاث، دراسات فلسطينية، بيروت، 1969.

3 – اسحق موسى الحسيني: مدينة القدس، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)،ط1، 1990.

4 – إسرائيل فنكلشتاين، نيل أشر سيلبرمان، ترجمة سعد رستم: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها(رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2007.

5 – أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1990.

6 – أحمد طربين: قضيية فلسطين، ج2، ط1، دمشق، 1968.

7 – إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1996.

8 – تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام 1930 : الحق العربي في حائط المبكى في القدس، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1968.

9 – ج.م.ن.جفريز، ترجمة أحمد خليل الحاج: فلسطين إليكم الحقيقة،ج1، دائرة الثقافة، والإعلام، حكومة الشارقة، 2000.

10 – جميل خرطبيل: فلسطين والمؤرخون العرب القدماء، دار النمير،(سورية)، دار الرواد(بيروت).

11 – حسن ظاظا: القدس (مدينة الله..أم مدينة داوود)، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)، ط1، 1998.

12 – رائف يوسف نجم وآخرون: مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ط1، 1983.

13 – زياد منى: مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، دار بيسان، بيروت، 2000.

14 – سامي سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، سلسلة دراسات فلسطينية (15).

15 – سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.

16 – ستيفن رنسيمان، ترجمة السيد الباز العريني: تاريخ الحروب الصليبية، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1981.

17- شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت: الطريق إلى القدس، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

18- شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2001.

19- صابر عبد الرحمن طعيمة: اليهود بين الدين والتاريخ،مكتبة النهضة المصرية،ط1، 1972.

20- صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1970.

21- ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس، بيروت، ط3، 1981.

22- عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، ط3، القاهرة.

23- عبد الله الحلو: سورية القديمة من أقدم الأزمنة حتى أمائل العصر البيزنطي، مطبعة ألف باء- الأديب، دمشق، ط1، 2004.

24- عبد الله سليم عمارة: تاريخ فلسطين القديم (بين الحقيقة والتزوير)، دار النمير، دمشق، ط1.

25- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، دار الشروق، القاهرةن ط1ن 1990.

26- فاروق عمر: تاريخ فلسطين السياسي في العصور الإسلامية، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، العين، ط1، 1983.

27- فراس السوّاح: آرام دمشق وإسرائيل، منشورات دار علاء الدين ، ط5، 2002.

28- فراس السوّاح: تاريخ أورشليم، دار علاء الدين، ط1ن 2001.

29- قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، العدد(149)، الكويت، مايو، 1990.

30- محمد اشتيه ويخرون: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، البيرة، فلسطين، 2008.

31- محمد هاشم غوشة: المسجد الأقصى المبارك، دار القدس للبحوث والتوثيق والإعلام، القدسن كانون الثاني، 2009.

32- محمد محمد حسن شراب: القول المبين في تاريخ القدس وفلسطين،دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2006.

33- محمود إبراهيم: فضائل مدينة القدس (في مخطوطات عربية قديمة)، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط1، 1985.

34- الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثالث(ص- ك)، ط1، دمشق، 1984.

35- الموسوعة الفلسطينية: القسم الثاني، المجلد الثاني، الدراسات التاريخية، ط1، بيروت،1990.

36- الموسوعة الفلسطينية: المجلد السادس، القضية الفلسطينية، بيروت، ط1، 1990.

37- نعيم فرح: تاريخ حضارة العالم القديم وما قبل التاريخ، دمشق، 1975.

38- نور الدين حاطوم وآخرون: موجز تاريخ الحضارة، ج1، مطبعة الكمال، دمشق، 1965.



فهرس الكتاب

الفهرس